

لا يوجد صوت في لغة المدينة

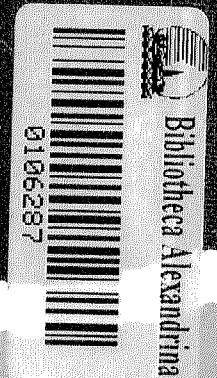
قصص من أمريكا اللاتينية

تأليف:
جابريل جارسيا ماركيز
وأخريث

ترجمة:
توفيق فهم

مكتبة مدبولي
القاهرة

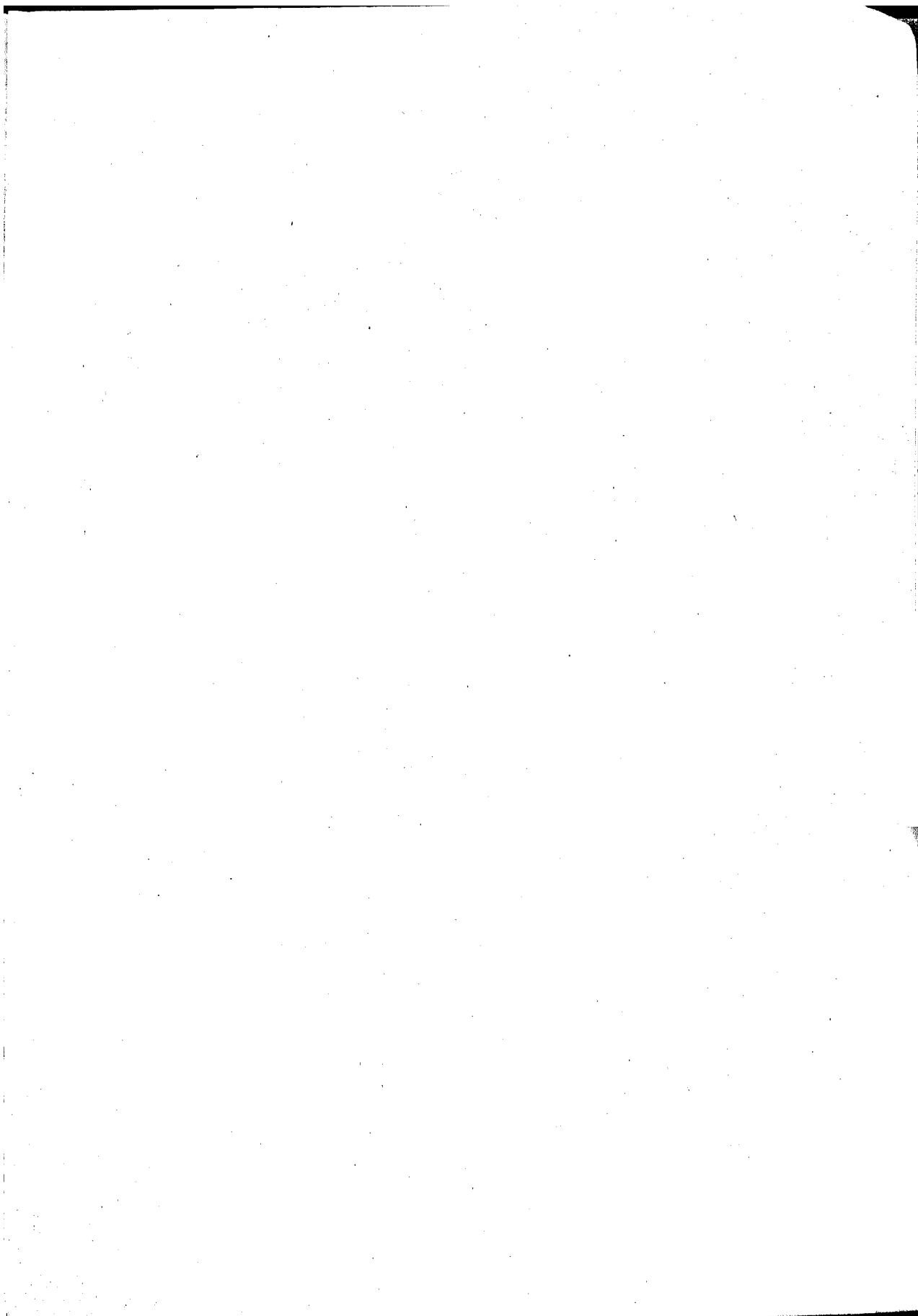
دار ازال للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت





72

لايوجسد لصوص
في هذه المدينة

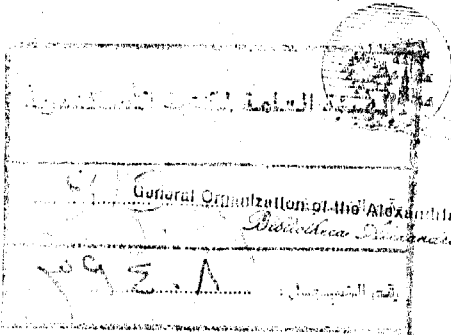


1963.6
ع. 1

لايوجرد لصوص في هذه المدينة قصص من أمريكا اللاتينية

تأليف
جابريل جارسيا ماركيث
وأخرون

881



ترجمة
شوقي تهيم

مكتبة مدبولي
القاهرة

دار آزال
بيروت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٩٨٦

دار الآزلي

للطباعة والنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة - مركز بيروت التجاري

هاتف : ٣٠٠١٧٦ - ٣١٨٨٥٦

ص . ب : ١٤/٦٢٩١

بيروت - لبنان

مكتبة مدبولي

القاهرة

٦ ميدان طلعت حرب

جابريل جارسيا ماركيز

وُلد

جابريل جارثيا ماركيز عام ١٩٢٨ في مدينة آراكاتاكا بكولومبيا في أمريكا اللاتينية . ومنذ عام ١٩٥٠ عمل صحفياً في مختلف دوريات أمريكا الجنوبية ، وسافر إلى كل أنحاء أوروبا وأمريكا . كما عاش فترة في المكسيك . من أشهر أعماله الروائية التي تُرجمت إلى العربية :
« مائة عام من العزلة » ، و« ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ، و« وقائع موت مُعلن » ، « خريف البطريك » . . إلى جانب عدد كبير من مجموعات القصص القصيرة .

جابريل جارسيا ماركيز :

لا يوجد لصوص في هذه المدينة

ترجمة: شوقي فهم

عاد داماسو إلى الحجرة مع أول خيوط الفجر . وكانت أنا^(١) ، زوجته الحامل في شهرها السادس ، تنتظره جالسة فوق السرير مرتدية ملابسها وحذاءها . بدأ مصباح الجاز يذبل . تأكد داماسو أن زوجته كانت تنتظره كل دقيقة خلال الليلة كلها ، وحتى الآن في هذه اللحظة حينما استطاعت رؤيته أمامها ، كانت ما تزال تنتظر . أوما إليها متسائلاً لكنها لم ترد . ثبتت عينيها المروعيتين على صرة الملابس الحمراء التي كان يحملها في يده ، زمت شفيتها ، وبدأت ترتعش . أمسك بها داماسو من قميصها بعنف صامت . كانت تنبعث منه رائحة نفاذة .

تخلصت أنا من قبضة يده . ثم ألقت جسدها بكل ثقله للأمام تبكي على صدر زوجها الذي كان يرتدي قميص فائلة أحمر مخططاً ، ثم تشبثت بوسطه الى أن بدأت تهدأ . قالت :
« نمت وأنا جالسة ، فجأة فُتح الباب ودُفع بك الى داخل الحجرة غارقاً في دمائك » .

أمسك داماسو بذراعها دون كلمة . أجلسها على السرير مرة أخرى . ثم وضع الصرة في حجرها وخرج إلى فناء البيت ليتبول . حلت رباط الصرة ورأت بها ثلاث كرات بلياردو ، اثنتين بيضاوين وواحدة حمراء ، كانت كلها قائمة اللون ورثة من كثرة الاستعمال .

حين عاد داماسو الى الحجرة وجدها غارقة في التفكير .

سألته أنا : « وما فائدة هذه ؟ »

هز كتفيه وقال :

« للعب البلياردو » .

ربط الصرة ثانية ووضعها مع المفتاح الماستر (الذي يفتح كل الأقفال) ،
والبطارية ، والسكين . . وضعها جميعاً في قاع صندوق الملابس . رقدت أنا في
مواجهة الجدار وخلعت ملابسها . خلع داماسو سرواله فقط . تمدد على
السريير ، حاول وهو يدخن في الظلام أن يجمع تفاصيل مغامرته في ذلك
الفجر ، حتى تأكد أن زوجته قد استيقظت .

- « فيما تفكرين ؟ »

قالت :

- « لا شيء »

بدأ صوتها ، وهو صوت عميق في حالاته الطبيعية ، بدأ حاداً بسبب
غضبها . جذب داماسو نفساً أخيراً من السيجارة ثم سحق العقب على الأرض
الترابية .

تنهد قائلاً :

« لم يكن هناك شيء آخر . ظللت بالداخل حوالي ساعة »

قالت :

« كان يمكن أن يطلقوا عليك النار » .

ارتعش داماسو . قال وهو ينقر بأصابعه على أطراف السريير :
« اللعنة » . راح يبحث بيديه عن السجائر والكبريت على أرضية الغرفة . قالت
أنا :

« إن إحساسك إحساس حمار » .

كان يجب أن تتذكر أنني هنا ، غير قادرة على النوم ، متخيلة انهم جاؤوا بك ميتاً كلما سمعت ضجعة في الشارع » ، ثم أضافت وهي تتنهد :

« وكل هذا ينتهي على ثلاث كرات بلياردو » .

- « لم يكن ثمة شيء بالدرج سوى خمسة وعشرين سنتاً » .

- « إذن كان عليك ألا تأخذ شيئاً » .

- كان أصعب ما في الأمر أن أصل الى الداخل . . ولم أستطع أن أعود

خاوي اليدين » .

- كان يمكنك أن تأخذ شيئاً آخر » .

- « لم يكن يوجد شيء آخر » .

- « لا توجد أماكن بها أشياء عديدة مثل قاعات البليارد » .

- « يبدو لك هذا ، ولكنك عندما تكونين بالداخل تبدأين بالنظر الى

الأشياء وتبحثين في كل مكان ثم تتحققين انه لا يوجد شيء يستحق أي

شيء » .

ظلت صامتة لوقت طويل .

تخيلها داماسو بعينيهما المفتوحتين ، تحاول أن تجد موضوعاً ذا قيمة في ظلمة

الذاكرة .

« ربما » قالت أنا .

أوقد داماسو النور مرة أخرى . كان الخمر ينسل منه في موجات مركزة ،

وأحس مرة أخرى بثقل ، وحجم أوصاله . قال « كانت هناك قطة ، قطة بيضاء

هائلة الحجم » تلفتت أنا حولها ، ضغطت بيطنها على بطن زوجها ، ووضعت

ساقها بين ركبتيه . كانت تفوح منها رائحة البصل .

- « هل كنت خائفاً جداً ؟ »

- « أنا ؟ »

- « أنت ، يقولون أن الرجال أيضاً يصيبهم الخوف » .

أحس بابتسامتها ، وابتسم هو . قال : « قليلاً » كان لا بد أن أتبول ، ولم استطع التوقف عن هذا « تركها تقبله دون أن يرد قبلاها . ثم ، وقد وعى المخاطر التي مر بها ، ولكن دون ندم ، وكأنما يسترجع ذكريات رحلة ، أخبرها بتفاصيل مغامرته .

تكلمت بعد صمت طويل :

« هذا جنون » .

قال داماسو وهو يغمض عينيه :

« ولكن هذا لا يعتبر سيئاً جداً باعتباره أول تجربة » .

تأخرت حرارة الشمس في المجيء . عندما استيقظ داماسو كانت زوجته قد استيقظت منذ برهة . وضع رأسه تحت الصنبور في فناء البيت وتركها عدة دقائق حتى صار يقظاً تماماً . كانت الحجرة جزءاً من سوق مكوّن من حجرات متشابهة ومنفصلة ، لها فناء مشترك تعترضه جبال الغسيل . في مواجهة الحائط الخلفي أقامت أنا فرناً متنقلاً للطبخ ولتسخين مكواتها ، ومنضدة صغيرة للأكل والكي . عندما رأت زوجها يقترب وضعت الملابس المكوّبة جانباً وأخذت المكواة من الفرن وسخت القهوة . كانت أكبر منه سناً ، بشرتها شاحبة للغاية ، وحركاتها تمتاز بالهدوء والثبات شأن الذين تعودوا على الواقع .

أدرك داماسو من خلال غيمة الصداع التي تلف رأسه أن زوجته تريد أن تقول له شيئاً بنظرتها . حتى ذلك الوقت لم يكن قد أعار انتباهاً للأصوات التي في الفناء .

غمغمت أنا وهي تعطيه القهوة « طوال هذا الصباح لم يكونوا يتحدثون في شيء آخر . منذ قليل ذهب الرجال الى هناك » .

رأى داماسو بنفسه أن الرجال والأطفال قد اختفوا من الفناء . وبينما كان يشرب قهوته أنصت متتبعاً حديث النساء الثلاثي كن ينشرن ملابسهن في الشمس . وأخيراً أشعل سيجارة وترك المطبخ .

نادى : « تيريزا ! »

ردت على ندائه فتاة ملابسها مبتلة وملتصقة بجسمها . غمغمت أنا « خذ بالك » . جاءت الفتاة . سألتها داماسو « ما الذي يحدث ؟ » قالت الفتاة « شخص ما اقتحم صالة البليارد وأخذ كل شيء » .

بدا أنها تعرف كل التفاصيل . شرحت كيف أن اللصوص قد سرقوا المكان كله ، قطعة قطعة ، حتى مائدة البليارد حملوها معهم . كانت تتحدث باقتناع تام حتى أن داماسو لم يصدق أن هذا كذب .
« خراء » ا قال وهو عائد إلى المطبخ .

راحت أنا تغني بين أسنانها المطبقة . مال داماسو بكرسي على حائط لفناء ، محاولاً أن يكتب قلقه . منذ ثلاثة شهور ، عندما بلغ سن العشرين ، كان خط شاربه الذي يشرى باحساس خفي بالتضحية وأيضاً بنوع من الرقة ، قد أضاف لمسة من النضج الى وجهه الذي يحمل آثار الجدري . منذ ذلك الحين بدأ يحس كأنه شخص رائد . لكن هذا الصباح ، بذكريات الليلة السابقة التي تطفو على مستنقع صداعه ، لم يستطع أن يعرف من أين يبدأ الحياة .
حين انتهت أنا من المكوة وضعت الملابس النظيفة في كومتين متساويتين واستعدت للخروج .

قال داماسو : « لا تتأخري » .

- « عادي » .

تبعها الى داخل الغرفة . قالت أنا « تركت قميصك المربعات هناك . من الأفضل ألا ترتدي القميص المخطط مرة أخرى » . واجهت عيني زوجها الصافيتين كعيني قط . « لا نعلم إذا كان أحدهم قد رآك أم لا » .

جفف داماسو عرق يديه على سرواله .

« لم يرني أحد » .

« لا نعرف » كررت أنا . كانت تحمل كومة ملابس على كل ذراع وأيضاً من الأحسن لك ألا تخرج . انتظر حتى أنجول قليلاً هناك كما لو أنني غير مهتمة .

في المدينة لم يكن للناس حديث آخر . وكان على أنا أن تنصت إلى تفاصيل نفس الحادث مرات عديدة ، في روايات مختلفة ومتناقضة . وعندما انتهت من تسليم الملابس ، وبدلاً من الذهاب الى السوق كما تفعل كل يوم سبت ، ذهبت رأساً إلى الميدان .

وجدت أمام قاعة البليارد عدداً من الناس أقل مما كانت تتصور . بعض الرجال كانوا يتحدثون في ظل شجر اللوز . وفرش السوريون ملاءاتهم الملونة ليتناولوا الغذاء ، وبدت الدكاكين ناعسة تحت المظلات الملونة . وكان رجل ينام متمدداً على كرسي هزاز في ردهة الفندق وقد انفرجت شفتاه وقدماه . كل شيء كان ساكناً في قيظ الظهيرة .

واصلت أنا سيرها بجوار قاعة اللعب ، وحين مرت بالأرض الفضاء المواجهة لرصيف السفن وجدت الجمع . ثم تذكرت شيئاً كان داماسوقد أخبرها به ، شيئاً يعرفه كل الناس ولكن زبائن المكان فقط يمكن أن يتذكروه : الباب الخلفي للقاعة المواجهة للأرض الفضاء .

بعد دقيقة اختلطت بالجمهور ، وكانت تضع ذراعيها حول بطنها وعيناها مثبتتان على الباب الذي كُسر . كان القفل سليماً لم يُمس ولكن واحدة من الرزات كانت قد خُلعت مثل سنه . للحظة تأملت أنا التحطيم الذي تسبب عن المجهود الفردي والمتواضع وفكرت في زوجها باحساس من الشفقة .

سألت « من الذي فعل هذا ؟ » ولم تجرؤ على النظر حولها .

أجابوها « لا أحد يعرف . يقولون غريب » .

قالت امرأة خلفها « لا بد أنه كذلك ، فلا يوجد لصوص في هذه

المدينة . كل واحد يعرف الآخر » .

إدارت أنا رأسها « هذا صحيح » قالت وهي تبسم . كانت مغطاة بالعرق . وكان ثمة رجل عجوز جداً بجانبها تبدو التجاعيد واضحة خلف رقبتة .

سألت « هل اخذوا كل شيء ؟ »

« مائتي بيزو ، وكرات البلياردو » . أجاب الرجل العجوز . نظر إليها باهتمام غير عادي : « سرعان ما يتوجب علينا أن ننام وعيوننا مفتوحة .

نظرت أنا بعيداً وقالت مرة ثانية « هذا صحيح » وضعت قطعة قماش على رأسها وصارت تعدل من وضعها دون أن تستطيع التخلص من الاحساس بأن الرجل ما زال ينظر إليها . لمدة ربع ساعة كان الحشد الذي تجمع يتصرف باحترام ، كما لو كان هناك ميت خلف الباب المكسور . ثم سرعان ما دب القلق بينهم فاستداروا وتدفقوا على الميدان .

كان مالك قاعة اللعب عند مقدمة الباب مع العمدة واثنين من رجال البوليس . كان قصيراً ممتلئاً لا يمك بنظونه سوى ضغط كرشه ، يضع نظارة مثل تلك التي يضعها الأطفال ، بدا المالك وكأنه قد وهب كرامة وكبرياء لا حدود لها .

أحاط به الحشد . وانصتت أنا وهي مستندة الى الحائط الى تقريره حتى بدأ الجمهور في الانصراف . ثم ، وقد ضايقها القيظ ، عادت الى غرفتها بينما كان الجيران في شبه مظاهرة صاخبة .

مهدداً على السرير ، سأل داماسو نفسه عدة مرات كيف حاولت أنا أن تنتظره الليلة السابقة دون تدخين . حين رآها تدخل مبتسمة وهي ترفع من على رأسها قطعة القماش المبتلة بالعرق ألقى بالسيجارة التي لم يدخن منها إلا القليل على الأرض وسحقها بين أعقاب السجائر المترصاة وانتظر بقلق متزايد .

« حسن ؟ »

ركعت أنا أمام السرير وقالت :

« حسن ، إلى جانب انك لص ، فأنت كذاب » .

- لماذا ؟

- لأنك قلت لي أنه لم يكن هناك شيء في الدرج .

- لم يكن هناك شيء .

- كانت هناك مائتا بيزو

- « هذا كذب » أجبها داماسو رافعاً صوته . جلس على السرير واستعداد

صوته المليء بالثقة « كان يوجد فقط خمس وعشرون سنتاً » .

أقنعها . قال داماسو وهو يلوح بقبضتيه « إنه نصاب عجوز . إنه يدفعني

لأحطم وجهه » ضحكت أنا بصوت عال :

« لا تكن غيبياً .

ضحك هو الآخر بصوت عال . وبينما كان يخلق ذقنه اخبرته زوجته بما

استطاعت أن تكشفه . كان البوليس يبحث عن غريب . « قالوا أنه وصل يوم

الخميس وأنهم رأوه الليلة الماضية يتجول حول المكان » قالت « يقولون انهم لا

يستطيعون العثور عليه في أي مكان » . فكر داماسو في الغريب الذي لم يره في

حياته ، وللحظة كان مقتنعاً تماماً بقصة هذا الغريب .

قالت أنا : « ربما هرب » .

كعهده دائماً ، كان داماسو يحتاج الى ثلاث ساعات ليرتدي ملابسه . أول

شيء راح يهذب شاربه . ثم الاستحمام تحت الصنبور في الباحة . تابعت أنا

خطوة بخطوة عملية تمشيط شعره الشاقة ، تابعتها باهتمام لم يتناقص منذ أن

رأته أول ليلة . حين رأته ينظر الى نفسه في المرآة قبل أن يخرج بقميصه الأحمر ،

أحست أنا أنها عجوز مبهدة . راح داماسو يتراقص أمامها بخفة ملاكم

محترف . أمسكت به من رصغيه .

« هل معك أي نقود ؟ »

أجاب داماسو بمرح « أنا غني ، لقد أخذت المائتي بيزو » .

اتجهت أنا صوب الحائط وأخرجت من صدرها رزمة من الأوراق المالية
وأعطت بيزو لزوجها وهي تقول :
« خذه يا فالتينو » .

في تلك الليلة كان داماسو في الساحة مع جماعة من أصدقائه . كان
الناس الذين قدموا من الريف لبيع بضائعهم في سوق الأحد ينصبون مظلاتهم
بين الأكشاك التي تبيع المقليات الفرنسية وأوراق اليانصيب ، ومن بداية المساء
يمكنك أن تسمع شخيرهم .

لم يكن أصدقاء داماسو مهتمين بالمرّة بأمر السرقة التي حدثت في قاعة
اللعب قدر اهتمامهم بإذاعة مباراة البطولة في البسبول التي لم يستطيعوا سماعها
تلك الليلة لأن قاعة اللعب كانت مغلقة . وفيما هم يتحدثون عن البسبول ذهبوا
إلى السينما دون اتفاق مسبق ودون معرفة الأفلام التي تعرض .

كانوا يعرضون فيلماً كوميدياً لكانتفلاس^(١) .

في الصف الأول من البلكون كان داماسو يضحك بلا خجل . أحس
كأنه يتطهر من انفعالاته . كانت أمسية جميلة من أمسيات شهر يونيو ، وفي
لحظات اختفاء الصور ، حين لا ترى سوى الضباب المشع الصادر عن آلة
العرض ، كان صمت النجوم يلقي بثقله على المسرح المفتوح .

فجأة صارت الصور على الشاشة معتمة وكانت هناك جلبة في نهاية
الصالة . وفي سطعة النور المفاجيء أحس داماسو أن أمره قد اكتشف ، وأنه
متهم ، وحاول الجري . لكنه مباشرة رأى الجمهور في الصالة يجمد في مكانه
وشرطي حزامه ملفوف حول وسطه ، يضرب رجلاً ضرباً مبرحاً بالقائش ذي
الأبزميم النحاس الثقيل . كان الرجل زنجياً عملاقاً . بدأت النساء تصرخ

(١) ممثل كوميدي شهير .

وزعق الشرطي ، الذي كان يضرب الزنجي ، في النساء « حرامي ، حرامي » . هرول الزنجي بين صفوف المقاعد يطارده شرطيان كما يضربانه على جنبه حتى امسكا به من الخلف . ثم قام الشرطي الذي جلده بتقييد معصميه خلف ظهره بحزام جلد ، ودفعه ثلاثتهم نحو الباب . حدث ذلك بسرعة مذهلة حتى أن داماسو لم يفهم ما حدث إلا عندما مر الزنجي بجواره ، قميصه ممزق ووجهه ملطخ بخليط من التراب والعرق والدم ، وكان يتمتم باكياً « قتله ، قتله » . ثم أداروا جهاز العرض واستمر الفيلم .

لم يضحك داماسو ثانية . رأى نثفاً من قصة غير مترابطة ، وحلقات الدخان ، حتى أضيئت الأنوار ونظر المتفرجون الى بعضهم البعض كما لو كانوا مرعوبين من الواقع « كان هذا جيداً » أوضح أحد الواقفين بجواره . لم ينظر داماسو تجاهه .

قال : « كانتيفلاس رائع » حمله الزحام الى الباب . كان باعة الطعام المتجولون ، محملين بالسلال ، في طريقهم الى بيوتهم . كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ، لكن كان ثمة كثير من الناس في الشارع ينتظرون الخارجين من السينما ليعرفوا منهم قصة القبض على الزنجي .

في تلك الليلة دخل داماسو الحجرة على أطراف أصابعه حتى أن زوجته أنا التي كانت نصف نائمة حين أحست به كان يدخن سيجارته الثانية ممدداً على السرير .
« الطعام على الموقد » .

تنهدت أنا : « حلمت أن نوراً تعمل عرائس من الزبد » قالت دون أن تنهض ، فجأة تحققت أنها راحت في النوم دون ارادتها ، واستدارت صوب داماسو وحملت وهي تدعك عينيها . . قالت :

« لقد قبضوا على الغريب » .

انتظر داماسو قبل أن يتكلم :

« من قال ؟ » .

ردت أنا : « أمسكوه في السينا ، كل الناس هناك » .
وحكت رواية مشوهة عن القبض : ولم يصحح داماسو كلامها .
تنهدت أنا : « يا له من رجل مسكين ! » .

احتج داماسو بکراهية :

« مسكين لماذا ؟ اذن فكنت تفضلين ان أكون أنا الذي وقعت في أيديهم »
كانت تعرفه جيداً وتعرف كيف تجيبه . أحست به يدخن ، يتنفس مثل مريض
الربو ، حتى أول خيوط الفجر . ثم أحست به خارج السرير يقلب الغرفة رأساً
على عقب في ملاحقة غامضة وبدا أنه يعتمد على اللمس أكثر من البصر . ثم
أحست به يكشط الأرض تحت السرير لأكثر من ربع ساعة ، ثم وهو يخلع
ملابسه في الظلام ، محاولاً ألا يحدث ضجة ، دون أن يتحقق من أنها لم تتوقف
عن مساعدته بأن جعلته يظن أنها نائمة . تحرك شيء ما في حواسها المغرقة في
البدائية . عرفت أنا الآن أن داماسو كان في السينا ، وفهمت لماذا دفن لتوه
كرات البليارد تحت السرير .

فُتحت قاعة اللعب يوم الاثنين وأمها الزبائن .

كانت مائدة البليارد قد غطيت بقماش ارجواني أضيء على المكان جواً
جنازياً . عُلفت على الحائط ورقةٌ كُتبت عليها « لاکرات ، لابليارد » جاء الناس
ليقرأوا هذه الورقة كأنها اخبار . بعضهم وقف أمامها مدة طويلة ، يقرأها في
ورع غامض .

كان داماسو بين الزبائن الأول . لقد أنفق جزءاً من حياته على المقاعد
التي رُصت على الجانبين للمتفرجين وكان هناك منذ اللحظة التي فُتحت فيها
الأبواب . كان أمراً صعباً لكنه تلقائي كواجب العزاء . ربت على ظهر صاحب
المحل عبر الكاونتر ، وقال :

« يا له من أمر مؤلم يا روك » .

هز صاحب المحل رأسه بابتسامة صغيرة مرسومة ، وتنهد قائلاً : « هذا

صحيح » . وظل في انتظار الزبائن بينما راح داماسو معتمداً على واحد من كراسي الكاونتر ، يرقب المائدة الشبكية تحت كفها الأرجواني .
قال « يا له من أمر غريب » .

« هذا لصحيح » ، وافق رجل على المقعد المجاور يبدو وكأننا في الأسبوع المقدس » .

عندما ذهبت غالبية الزبائن لتناول الغذاء وضع داماسو قطعة نقود في صندوق الفوتوغراف والتقط اسطوانة لمغنية مكسيكية يحفظها عن ظهر قلب .
كان روك ينقل المناضد والكراسي الى نهاية الصالة .
سأل داماسو : ماذا تفعل ؟

أجاب روك : إني أرتب المكان للعب الورق . يجب أن أفعل شيئاً حتى تأتي الكرات .

كان يتحرك في تردد ممسكاً بكرس في كلتا يديه فبدأ مثل أرمل فقد زوجته مؤخراً .

سأل داماسو : « ومتى ستأتي الكرات ؟ »
- « خلال شهر على ما أرجو »

قال داماسو : « في هذه الأثناء ستظهر الكرات الأخرى مرة ثانية » .

ألقي روك نظرة ارتياح على صف المناضد الصغيرة ، وقال وهو يجفف جبهته بكمه . « لن تظهر ثانية ، إنهم يعذبون الزنجي بمنع الطعام عنه منذ أسبوع ومع ذلك فهو يرفض أن يقول أين الكرات » . ثم رمق داماسو بنظرة من خلال نظارته المغبشة بفعل العرق . « أنا متأكد أنه ألقاها في النهر » .

عض داماسو على شفتيه .

- « والمائتا بيزوس ؟ »

أجاب روك : « وهي أيضاً . لم يجدوا معه سوى ثلاثين » .

تلاقت نظراتهما . لم يستطع داماسو أن يفهم سر انطباعه بأن هذه الت
أقامت بينه وبين روك علاقة اشترك في الجريمة . في ذلك المساء رآته أنا ، و
في المغسلة ، عائداً الى البيت يرقض مثل ملاكم . تبعته الى الحجرة .

قال داماسو : « كل شيء على ما يرام . الرجل العجوز مستسلم تم
حتى أنه طلب شراء كرات جديدة . الآن هي مجرد مسألة انتظار حتى يند
الجميع » .

- « والزنجي ؟ »

أجابها داماسو هازماً كتفيه « لا شيء . إذا لم يجدوا الكرات فسوف يك
عليهم أن يطلقوا سراحه » .

بعد الأكل ، جلسا خارج الباب الأمامي وكانا يتحدثان مع الجيران -
سكت مكبر الصوت في السينما . وعندما ذهبا الى الفراش ، كان داماسو
منفعلاً . قال :

« شيء مروع حدث لي »

أيقنت أنا أنه كان يقرب الفكرة في رأسه منذ الغسق .

واصل داماسو كلامه قائلاً « سأسافر من مدينة الى مدينة . أسرق كر
البلياردو من مدينة وأبيعه في المدينة التالية . كل مدينة فيها قاعة للعب .
- « حتى يردوك قتيلاً »

- « قتل ، أي قتل ؟ إنك ترين هذا في السينما فقط » . مزروعاً في و
الغرفة ، كان يكتف حماسه .

أخذت أنا تخلع ملابسها ، وبدت غير مبالية ، ولكنها في الحقيقة كا
تنصت له باهتمام ممزوج بالشفقة .

« سأشتري صفاً من البديل » قال داماسو مشيراً الى دولاب خيالي بط
الحائط . من هنا الى هنا . وكذلك خمسين زوجاً من الأحذية .

قالت أنا « إن شاء الله »

حدجها داماسو بنظرة جادة :

- « انت لست مهتمة بشئوني » .

- « انها بعيدة كل البعد عني » .

قالت أنا هذا ثم أطفأت المصباح ، ورقدت بجوار الحائط ، وأضافت بمبرارة واضحة ، « عندما تبلغ الثلاثين سأكون أنا في السابعة والأربعين من عمري » .

قال داماسو « لا تكوني سخيقة » تحسس جيوبه بحثاً عن الكبريت « سوف ترتاحين من غسل الملابس ايضاً » .

قال هذا بنوع من الارتباك . اشعلت أنا له عود ثقاب . نظرت الى اللهب حتى احترق عود الثقاب والقتته على الأرض . تمددت على السرير ، وواصل داماسو حديثه :

« هل تعرفين مما تُصنع كراتُ البليارد ؟ » .

لم تجب أنا . واصل هو كلامه « من أنياب الفيل ، من الصعب الحصول عليها ، حتى أنه يلزم شهر لتأتي . هل تتصورين ؟ » .
قاطعته أنا : « اذهب لتنام ، يجب أن أصحو في الخامسة » .

كان داماسو قد عاد لحالته الطبيعية . امضى الصباح في السرير يدخن ، وبعد القيلولة بدأ يستعد للخروج . في الليل استمع من الراديو الى اذاعة مباراة البطولة في البسبول في قاعة اللعب . كانت لديه القدرة لسيان مشروعاته بنفس الحماس الذي دفعه للتفكير فيها .

في يوم السبت سأل زوجته « هل لديك أية نقود ؟ » أجابت : « احدى عشر بيزو » ثم أضافت بهدوء « انها الإيجار » .

- « سأعقد معك صفقة » .

- « ماذا ؟ »

- « اقرضيني اياها » .

- « لا بد أن ندفع الايجار »

- « سندفعه فيما بعد » .

هزت أنا رأسها : أمسك داماسو بمعصمها ومنعها من النهوض من جانب المنضدة حيث تناولوا تَوّاً طعام الإفطار . قال وهو يربت ذراعها برقة بثتت وعيها « عندما أبيع الكرات سيكون لدينا نقود تكفي لكل شيء » .

لم تستسلم أنا .

في تلك الليلة اخذها داماسو الى السينما ولم يرفع يده عن كتفها حتى عندما كان يتكلم مع أصدقائه اثناء الاستراحة . رأياً نتفاً من الفيلم . وعندما انتهى ، كان داماسو نافذ الصبر .

قال « اذن على أن أسرق النقود » .

هزت أنا كتفها . قال داماسو وهو يدفعها وسط حشد الناس الخارجين من السينما : « سأضرب أول شخص أجده بهراوة حينئذ سيأخذونني الى الحبس بتهمة القتل » .

ابتسمت أنا في داخلها . لكنها بقيت جامدة . في الصباح التالي ، بعد ليلة عاصفة ، ارتدى داماسو ملابسه في سرعة ملحوظة ومنذرة بالسؤ . مر قريباً من زوجته ودمدم :

« لن أعود أبداً » .

لم تستطع أنا أن تقاوم رجفة خفيفة ألمت بها .

صاحت فيه « أتمنى لك رحلة طيبة ! »

بعد أن صفق الباب بدأ يوم أحد فارغ وبلا نهاية بالنسبة لداماسو . في السوق العامة .

أضفت الأواني الفخارية اللامعة والنساء ذوات الملابس الزاهية اللائي كن

خارجت ، مع أطفالهن من قداس الساعة الثامنة ، أضفت لمسة سعادة على الميدان ، لكن الهواء كان قد بدأ يثقل بفعل الحرارة .

انفق اليوم في قاعة اللعب . كانت مجموعة من الرجال يلعبون الورق في الصباح ، وقبل الغداء دخل عدد قليل من الزبائن . لكن كان واضحاً ان المحل قد فقد جاذبيته . فقط عند الغسق ، وحين بدأ يذاع برنامج البيسبول ، استعاد جزءاً من حركته القديمة .

بعد أن اغلقوا القاعة ، لم يجد داماسو مكاناً يذهب اليه في الميدان الذي بدا الآن خاوياً . سار في الشوارع المتوازية المؤدية الى الميناء ، متتبغاً صوت موسيقي مرحة قادمة من بعيد . في نهاية الشارع كانت ثمة صالة رقص كبيرة وخاوية ومكسوة بأكاليل من الورق الذابل ، وفي مؤخرة القاعة ثمة فرقة موسيقية على منصة خشبية . كانت رائحة الماكياج الخائقة تغطي المكان .

جلس داماسو على البار ، وعندما انتهت المقطوعة الموسيقية راح الصبي الذي لعب على الصاجات في الفرقة يجمع النقود من الرجال الذين كانوا يرقصون . تركت فتاة شريكها في وسط القاعة واقتربت من داماسو . « ما الأخبار يا فالينتينو ؟ » قدم لها داماسو كرسيّاً بجانبه .

جاء الساقى وقد غطت وجهه المساحيق وزهرة قرنفل على أذنه وسأل بصوت متكلف :

- « ماذا تشربان ؟ »

اتجهت الفتاة نحو داماسو .

- « ماذا سنشرب ؟ »

- « لا شيء » .

- « على حسابي » .

قال داماسو : « ليس هذا قصدي . . إني جوعان » .

« مسكين ! » تنهد الساقى « بهاتين العينين » .

ذهبا الى حجرة الطعام في نهاية القاعة . بدت الفتاة بجسدها المشقوق
شابة للغاية ، لكن طبقة المسحوق والأحمر والطلاء على شفثتها جعل من الصعب
معرفة عمرها الحقيقي . بعد أن تناولوا الطعام ، تبعها داماسو الى حجرة خلف
الساحة المعتمة حيث كان بإمكانها سماع تنفس الحيوانات النائمة . كان السرير
مشغولاً ، وكان ثمة طفل مغطى بمزق ملونة . وضعت الفتاة المزق في صندوق
خشبي ، ثم وضعت الطفل داخله ، ثم وضعت الصندوق على الأرض .

قال داماسو :

- « ستأكله الفئران » .

« لا ، لن تأكله » .

غيرت فستانها الأحمر وارتدت آخر له فتحة صدر أوسع وبه زهور
صفراء .

سأل داماسو :

- « من الأب ؟ »

- « ليس عندي أي فكرة » . ثم اضافت وهي عند الباب « سأعود

حالاً ! » .

سمعها تغلق الباب . دخن عدة لفافات ، تمدد على ظهره بملابسه .
اهتزت يايات السرير . لم يدر متى نام . حين استيقظ ، بدت الحجرة أكبر في
غياب الموسيقى . كانت الفتاة عارية بجوار السرير .

« كم الساعة ؟ »

- « حوالي الرابعة » أجابت الفتاة « هل بكى الطفل ؟ »

- « لا أظن » . أجاب داماسو .

استلقت الفتاة لصقه ، وهي تمنع النظر فيه ، استدارت قليلاً فيما هي
تفك أزرار قميصه . أيقن داماسو أنها شربت كثيراً . حاول أن يطفىء النور .
- « دعه لا تطفأه . . أحب أن أنظر في عينيك » .

منذ الفجر فصاعداً امتلأت الحجرة بالضوضاء . بكى الطفل . أخذته
البنث الى السرير وأرضعت . وهي تهمهم له بأغنية حتى ناموا جميعاً . لم يلحظ
داماسو أن الفتاة استيقظت حوالي الساعة ، تركت الحجرة ، ثم عادت بدون
الطفل .

قالت « كل الناس ذاهبة الى الميناء » . أحس داماسو كما لو أنه لم ينم أكثر
من ساعة واحدة طوال الليل .

- « لماذا ؟ »

« ليروا الزنجي الذي سرق الكرات ، سيرحلونه اليوم » .

أشعل داماسو سيجارة .

« يا له من مسكين » تنهدت الفتاة .

« لماذا مسكين ؟ » ، سأل داماسو .

« أن أحداً لم يجعله لصاً » .

فكرت الفتاة للحظة ورأسها على صدره ، وبصوت خافت للغاية قالت :

- « لم يكن هو الذي سرق »

- « من قال ذلك ؟ »

- « اعرف هذا . في الليلة التي اقتحم فيها اللصوص قاعة اللعب ، كان

الزنجي مع جلوريا ، وامضي اليوم التالي كله في حجرتها ، تقريباً حتى حلول

الليل ، ثم جاؤوا ليقولوا أنهم قد ألقوا القبض عليه في السجن » .

- « جلوريا تستطيع أن تقول ذلك للشرطة » .

- « الزنجي قال لهم ذلك . العمدة ذهب الى جلوريا بقلب حجرتها رأساً

على عقب ، وقال أنه كان سيأخذها الى الحبس كشريك في الجريمة . وأخيراً

ينتهي الأمر الى عشرين بيزو » .

استيقظ داماسو قبل الثامنة . قالت الفتاة « ابق هنا ، سوف اذبح دجاجة

للغداء » .

ضرب داماسو المشط في راحة يده قبل أن يضعها في جيبه الخلفي . « لا أستطيع » قال وهو يمسك بالفتاة من رسيها ويديرها ناحيته . لقد غسلت وجهها ، وكانت حقاً صغيرة جداً ، لها عينا سوداوان كبيرتان . لفت ذراعيها حول وسطه .

« ابقني هنا » . أصرت .

- « إلى الأبد ؟ » .

اكتسى وجهها بحمرة خفيفة ، وانسحبت .

قالت : « مهرج » .

كانت أنا منهوكة القوى في هذا الصباح . لكن ضجة المدينة وهياجهما كانت للصقها . بأسرع من المعتاد جمعت ملابس الغسيل لذلك الأسبوع ، وذهبت الى الميناء لتشاهد رحيل الزنجي . كان ثمة حشد نافذ الصبر ينتظر قرب القوارب البخارية التي كانت مستعدة للابحار . كان داماسو هناك . لكزته أنا بأصابعها في جنبه

« ماذا تفعلين هنا ؟ سأل داماسو فرعاً .

- « جئت لأودعك » .

- « عليك اللعنة » .

بعد أن اشعل سيجارة رمى العلبة الفارغة في النهر .

أخرجت أنا علبة أخرى من قميصها ووضعتها في جيب قميصه . ابتسم داماسو للمرة الأولى . قال : « لن تتعلمي أبداً » . ضحكت أنا .

بعد قليل وضعوا الزنجي في القارب . أخذوه عبر الميدان ، ورسغاه مقيدان خلف ظهره بحبل يمسك به رجل شرطة . اثنان آخران من رجال الشرطة مسلحان بالمسدسات مشياً الى جواره . كان بلا قميص ، شفته السفلى مدلاة ، وأحد حاجبيه مرتفع ، مثل ملاكم . على باب قاعة اللعب ، حيث

تجمع الجانب الأكبر من الجمهور يشهد نهاية العرض ، شهده المالك يمر وهو يهز رأسه في صمت . والباقون لاحظوه بنوع من الشغف .

انطلق الزورق البخاري بغتة . كان الزنجي على سطحه ، ويداه وقدماه مقيدة الى برميل زيت . وعندما استدار الزورق في وسط النهر وأطلق صفارته الأخيرة ، بدا ظهر الزنجي للجمهور .

« يا للرجل المسكين » . همست أنا . قال شخص بجانبها « مجرمون ، أي إنسان لا يستطيع تحمل مثل هذه الشمس » .

حدد داماسو مكان الصوت القادم من امرأة مفرطة السمنة بشكل غير عادي ، وبدأ يسير صوب الميدان . همس في أذن أنا « إنك تتكلمين كثيراً . والآن ما عليك إلا أن تصرخي وتحكي القصة كلها » . صحبته الى باب قاعة اللعب .

قالت له وهي تغادره : « على الأقل إذهب الى البيت لتغير ملابسك . إنك تبدو مثل الشحاذين » .

دلف جميع من الجمهور المستثار الذي شهد ما حدث الى قاعة اللعب . حاول روك ان يلبي طلباتهم جميعاً فكان يخدم عدة موائد في وقت واحد .

انتظر داماسو حتى مر بجانبه :

« هل تريد مساعدة ؟ »

وضع روك ست زجاجات بيرة أمامه مع أكواب مقلوبة .

« شكراً يا بني » .

أخذ داماسو الزجاجات الى الموائد . تلقى عدة طلبات من الزبائن ، واستمر في تلقي الطلبات واحضار الزجاجات حتى غادر الزبائن المكان لتناول الغذاء . في الصباح الباكر ، حين عاد الى الحجرة ، تحققت أنا أنه كان شرب . أخذت يده ووضعتها على بطنها .

قالت « هنا ، ألا تحس به ؟ »
لم يبد داماسو أي بادرة حماس .
قالت أنا : « إنه يرفس الآن . إنه يقضي الليل كله يرفسني رفسات
صغيرة بالداخل » .

لكنه لم يبد أي رد فعل . مركزاً اهتمامه على نفسه ، خرج مبكراً في اليوم
التالي ولم يعد حتى منتصف الليل . مر أسبوع على هذا الحال . في اللحظات
القليلة التي أمضاها في البيت ، مدخناً في السرير ، تجنب المحادثة . ركزت أنا
انتباهها . في بداية حياتها معاً ، وفي مناسبة معينة ، كان يسلك بنفس
الطريقة ، وحينئذ لم تكن قد عرفت بما فيه الكفاية كي لا تضايقه ، في السرير
فتح ساقيها وضغط عليها وجعلها تنزف .

هذه المرة انتظرت . في الليل وضعت علبة سجائر بجانب المصباح ،
وهي تعرف انه يستطيع تحمل الجوع والعطش ولكنه لا يتحمل الحاجة الى
التدخين .

وأخيراً ، في منتصف يوليو ، عاد داماسو الى الحجرة عند الغسق .
أصبحت أنا عصبية ، وقد فكرت أنه لا بد أن يكون في حالة صعبة حتى يأتي
ليبحث عنها في هذه الساعة . تناولا الطعام في صمت . لكن قبل الذهاب الى
الفراش كان داماسو متعباً ورقيقاً ، وعلى نحو غير متوقع قال :

- « أريد أن أرحل » .

- « إلى أين ؟ »

- « الى أي مكان » .

نظرت أنا في أرجاء الغرفة . أغلقة المجلات التي قصتها بنفسها وألصقتها
على الجدران حتى غُطيت تماماً بصور نجوم السينما بهتت وصارت بلا لون . لقد
فقدت عدداً من الرجال الذين ، بعدما أطلوا النظر الى هذه الصور وهم في
السرير ، اختفوا تدريجياً وأخذوا معهم هذه الألوان .

قالت : « أنت تشعر بالضجر معي » .

- « ليس هذا ، إنها هذه المدينة » .

- « إنها مثل أي مدينة أخرى » .

- « لا أستطيع بيع الكرات » .

- « دع الكرات وشأنها . طالما أن الله يعطني القوة لأعمل في الغسيل

فلن تحتاج للدوران بحثاً عن فرص » وبعد لحظة صمت أضافت بركة :

« لا أعرف كيف فعلت هذا » .

أنهى داماسو سيجارته قبل أن يتكلم :

« لقد كان سهلاً للغاية حتى أنني لا أستطيع أن أفهم لماذا لم يفعلها أحد

من قبلي » .

قالت أنا : « من أجل النقود . لكن أحداً لا يمكن أن يكون من الغباء

بحيث يسرق الكرات » .

قال داماسو : « لقد فعلتها دون تفكير . كنت أغادر المكان حين رأيت

الكرات خلف الكونتر في الصندوق الصغير ، وظننت أنه من السخف أن آتي

خالي الوفاض » .

قالت أنا : هذه كانت غلطتك » .

أحس داماسو بالارتياح . قال : « وفي نفس الوقت فإن الكرات الجديدة

لم تصل . أرسلوا يقولون أنها الآن أغلى ثمناً . وقال روك إنه ألغى

الطلب . » . أشعل سيجارة أخرى ، وفيما كان يتحدث ، أحس أن قلبه يتحرر

من حمل ثقيل .

أخبرها أن المالك قد قرر أن يبيع مائدة اللعب . إنها لا تساوي الكثير .

المفرش ، وقد مزقته ضربات خرقاء من اللاعبين الجدد ، قد أصلح برقع مختلفة

الألوان ويلزم تغييره كلية . وفي نفس الوقت فإن زبائن القاعة الذين شبوا على

لعب البليارد ، وليس لديهم الآن تسلية أخرى فيما عدا سماع اذاعة مباريات

البيسبول من الراديو .

وأهني داماسو كلامه قائلاً : « وهكذا ، دون أن نريد ، آذ يناكل المدينة »
قالت أنا : « بلا مقابل » .

- « الأسبوع القادم ستنتهي مباريات البطولة » .
- « وليس هذا أسوأ ما في الأمر ، أسوأ ما في الموضوع هو الزنجي » .
مستلقية على كتفيه ، مثلما كان في الأيام الخوالي ، عرفت فيما كان زوجها يفكر . انتظرت حتى انتهى من السجارة . ثم ، بصوت حذر ، قالت :

- « داماسو » .

- « ما الأمر ؟ »

- « أعدها » .

أشعل سجارة أخرى . وقال :

- « هذا ما كنت أفكر فيه منذ عدة أيام . لكن الشيء الوسخ في الموضوع اني لا أتصور كيف يمكن تنفيذ هذا » .

وهكذا قررا أن يتركا الكرات في مكان عام . ثم فكرت أنا أنه بينما يحل هذا مشكلة قاعة اللعب ، فانه يترك مشكلة الزنجي بغير حل . فالشرطة تستطيع تفسير وجود الكرات تفسيرات عديدة ، دون تبرئته . كما أنها - أنا - لم تنس امكانية أن يجد شخص ما الكرات وبدلاً من إعادتها يحتفظ بها لبيعها .

وانتهت أنا الى القول : « حسن ، طالما سنعمل شيئاً فمن الأحسن عمله بالطريقة الصحيحة » .

حفرا الأرض وأخرجوا الكرات . لفتهم أنا في ورق جرائد ، مراعية ألا تكشف اللفة عن شكل المحتويات ، ثم وضعتها في صندوق الملابس .

قالت « يجب أن ننتظر الفرصة المناسبة » .

لكنها امضيا أسابيع في انتظار الفرصة المناسبة . وفي ليلة العشرين من أغسطس - شهران بعد السرقة - وجد « أماسوروك جالساً خلف الكاونتر يهش البعوض بمروحة . ومع صمت الراديو بدت وحدته مكثفة .

« قلت لك . . » أوضح روك بنوع من الفرحة لنبوثة التي تحققت . .
لقد ذهب العمل الى الجحيم . وضع داماسو قطعة نقود في صندوق
الاسطوانات . بدا صوت الموسيقى الصاخب له كأنه دليل صارخ على ولاءه .
لكن تكوّن لديه إحساس بأن روك لم يلاحظ هذا . حينئذ جذب كرسياً وحاول
أن يعزّيه بحجج متخبطة فندها المالك بلا إحساس وذابت مع ايقاع مروحته
اللامبالي . كان يقول « لا شيء يمكن عمله ، وبطولة البيسبول لا تستمر الى
الأبد » .

- « ولكن الكرات قد تظهر » .

- « لكن تظهر » .

- « لا يمكن أن يكون الزنجي قد أكلها »

- « بحث البوليس في كل مكان ، لقد ألقاها في النهر » .

- « قد تحدث معجزة » .

- « انس أوهامك يا ابني ، إن سؤ الحظ يشبه الخلزون ، هل تؤمن

بالمعجزات ؟ »

- « أحياناً » .

حين ترك داماسو المكان ، لم تكن عروض السينما قد انتهت بعد . كان
جوار الفيلم الممطوط والمكسر يتردد صدهاء في المدينة المظلمة ، وكانت تمة أسباب
للببوت القليلة التي ظلت مفتوحة .

سار داماسو للحظة في اتجاه السينما . ثم ذهب الى صالة الرقص .

كانت الفرقة تعزف لزبون أعرب كان يرقص مع امرأتين في نفس
الوقت . أما الآخرون الذين جلسوا بجانب الحائط فقد بدا انهم ينتظرون
البريد . جلس داماسو على إحدى الموائد ، وأشار الى عامل البار ليحضر له
بيرة ، وشربها من الزجاجاة مع وقفات قصيرة ليتنفس ، وكان يراقب الرجل
الذي يرقص مع المرأتين ، كان أقصر منها .

في منتصف الليل وصلت النساء اللاتي كن في السينا يلاحقهن عدد من الرجال . صديقة داماسو التي كانت معهم تركت الآخرين وجلست الى مائدته .

لم ينظر داماسو اليها ، كان قد شرب ست زجاجات بيرة وظل يجملق في الرجل ، الذي كان في ذلك الوقت يرقص مع ثلاث نساء لكن دون أن يعيرهن أي انتباه ، ويتسلى بحركات قدميه المعقدة . بدا سعيداً ، وكان من الواضح أنه سيبدو أكثر سعادة لو كان له ، بالإضافة الى ذراعيه وساقيه ، ذيل .

قال داماسو : « أنا لا أحب هذا الجذع »

قالت الفتاة « اذن لا تنظر اليه » .

طلبت شراباً من الساقى . بدأت حلبة الرقص تمتلىء بالرجال والنساء ، لكن الرجل ذا النساء الثلاث ظل كما لو أنه الوحيد في القاعة . في إحدى الدورات تقابلت عيناه مع عيني داماسو وبذل جهداً أكبر في الرقص ، وأظهر له ابتسامة بأسنانه التي تشبه اسنان الأرنب . ثبت داماسو نظرتة دون أن تطرف له عين ، حتى غضب الرجل وأدار له ظهره .

قال داماسو « يظن أنه سعيد جداً » .

قالت الفتاة « إنه سعيد جداً . كل مرة يأتي الى المدينة يدفع بسخاء لفرقة الموسيقى مثل كل الوكلاء المتجولين » .

حول داماسو عينيه نحو الفتاة .

- « اذن اذهبي اليه . حيث يوجد مكان لثلاثة يوجد مكان لأربعة » .

دون أن تجيب حولت وجهها صوب حلبة الرقص ، وهي تشرب رشقات بطيئة . كان الرداء الأصفر الشاحب إطاراً لوجهها الذي غمرته حمرة الخجل .

رقصا معاً على اللحن التالي . وحين انتهى كان داماسو يغمغم . قالت له الفتاة وهي تقوده نحو الكاونتر « إني أموت جوعاً ، وأنت أيضاً يجب أن تأكل . » كان الرجل السعيد قادماً من الاتجاه المقابل مع النساء الثلاثة .

« اسمع » قال له داماسو .

ابتسم الرجل له دون أن يتوقف . ترك داماسو ذراع رفيقته واعترض طريقه .

« أنا لا أحب أسنانك » .

شحب وجه الرجل لكنه ظل يبتسم . ثم قال « وأنا أيضاً » .

قبل أن تستطيع الفتاة التدخل ، كان داماسو قد لطمه على وجهه وجلس الرجل في وسط الحلبة . لم يتدخل أحد من الزبائن . أمسكت النساء الثلاثة بداماسو من وسطه وهن يصرخن بينما كانت رفيقته تدفعه نحو نهاية القاعة . نهض الرجل ، ووجهه مضطرب من أثر اللطمة . قفز مثل قرد الى وسط الحلبة وصاح :

« استمروا في الموسيقى » .

حوالي الثانية صباحاً كانت القاعة خاوية تقريباً ، وبدأت النساء ، اللاتي بلا زبائن ، في تناول الطعام . كان الجو حاراً . أحضرت الفتاة طبق أرز بالفاصوليا واللحمة المحمرة الى المائدة ، وأكلته بالملعقة . راقبها داماسو بنوع من الدهول والخدر . قدمت له ملعقة أرز « افتح فمك » .

خفض داماسو ذقنه الى صدره وهز رأسه . قال « هذا للنساء . نحن الرجال لا نأكل » .

كان عليه أن يعتمد بيديه على المائدة لكي ينهض . وحين استعاد توازنه كان ساقى البار أمامه عاقداً ذراعيه على صدره :

« وصل الحساب الى تسعة وثمانين . هذه الحفلة ليست على حساب المحل » . دفعه داماسو جاتباً وهو يقول « أنا لا أحب الشواذ جنسياً » .

جذبه عامل البار من كفه ، لكن ، بإشارة من الفتاة تركه يمر وهو يقول :
« إنك لا تعرف ما الذي ستفقدده » .

تعثر داماسو في الخارج . البريق الغامض للنهر فتح في ذهنه أهدوداً من صفاء الفكر . لكنه أغلق في الحال . حين رأى باب حجرته ، في الجانب الآخر من المدينة ، تأكد داماسو أنه مشى وهو نائم . هز رأسه . تأكد ، بطريقة غامضة ولكن مُلحة أن عليه من هذه اللحظة فصاعداً أن يراقب كل حركة من حركاته . دفع الباب محاذراً ألا تحدث مفصلات الباب صوتاً .

أحست به أنا وهو يبحث في صندوق الملابس . استدارت صوب الحائط لتجنب ضوء المصباح ، لكنها في تلك اللحظة تأكدت أن زوجها لم يكن يخلع ملابسه .

لحظة حدس جعلتها تجلس في السرير .

كان داماسو بجانب الصندوق ، وفي يديه الربطة التي تحوي الكرات والمصباح اليدوي . وضع سبابته على شفتيه .

قفزت أنا من السرير . « أنت مجنون .. » غمغمت وهي تجري نحو الباب . أغلقت الرتاج بسرعة . وضع داماسو المصباح في جيب منطاله مع السكين الصغير وبعض المبرد المسنونة وتقدم صوبها متباطئاً الربطة . اعتمدت أنا بمؤخرتها على الباب .

« لن تخرج من هنا طالما أنا على قيد الحياة » . قالت بسرعة . حاول داماسو أن يدفعها جانباً : « ابعدي » أمسكت أنا بمقبض الباب بكلتا يديها . نظر كل منهما في عين الآخر دون أن يطرف له رمش . همست أنا : « إنك جحش ، وما أعطاه لك الله من جمال في مظهره أخذه من عقلك . » أمسك بها داماسو من شعرها ، لوى رسغها ، بحيث صار تحت رأسها : وبأسنان مطبقة قال « قلت لك ابعدي » . نظرت أنا إليه من طرف عينها ، مثل ثور تحت النير . للحظة أحسبت أنها محصنة ضد الألم وأنها أقوى من زوجها ، لكنه ظل يلوي شعرها حتى حنقتها الدموع :

« إنك تقتل الطفل الذي في بطني » .

سحب داماسو ، أو بالأصح حمل جسدها الى السرير . وحين رفع يديه عنها ، قفزت على ظهره ، ولفت ساقها وذراعيها حوله ، وسقط الاثنان على السرير . كان العرق قد بدأ يتصبب منها . همست أنا في أذنه « سأصرخ ، لو تحركت سأصرخ » .

شخر داماسو في غضب وهو يضرب ركبتيها بصرة الكرات . أطلقت أنا صرخة وفكت ساقها لكنها تشبثت بوسطه لئلا تمنعه من الوصول الى الباب . ثم بدأت تستعطفه .

« أعدك أني سوف آخذها بنفسى غداً » سأعيدها الى مكانها لذلك لن يلحظ أحد » . وفيما يقترب داماسو من الباب كان يضرب يديها بالكرات . كانت تتركه للحظة لتتغلب على الألم . ثم تمسك به مرة أخرى وتستمر في الاستعطاف : « أستطيع أن أقول أنها تخصني ، لا يستطيعون أن يضعوك في الحبس بأي حال » .

هزها داماسو . قال أنا : « كل المدينة سوف تراك . إنك غبي ولم تلاحظ ان القمر بدر ساطع » . جذبته ثانية قبل أن يفتح الباب . ثم ، وهي مغمضة عينيها ، راحت تكييل له الكلمات على رقبته ووجهه ، وهي تصرخ : « حيوان ، حيوان » .

حاول داماسو تفادي اللكمات وتشبثت هي بالرتاج وأخذته من بين يديه .

وجهت لكمة الى رأسه . حاول داماسو أن يتفادها ، وارتطم الرتاج بعظمة كتفه فأحدث صوتاً كما لو أنه على لوح زجاج . صاح : « عاهرة » .

في هذه اللحظة لم يكن مبالياً ألا يحدث ضجة . ضربها على اذنها بظهر

قبضته ، وأحس بالصرخة العميقة واصطدام جسدها القوي بالحائط ، لكنه لم ينظر إليها . ترك الحجر دون ان يغلق الباب .

ظلت أنا جالسة على أرض الغرفة ، مخدرة بفعل الألم ، وانتظرت أن يحدث شيء في بطنها . نادوها في الجانب الآخر للحائط بصوت كأنه قادم من خلف القبور . غضت شفتيها لكي لا تصرخ . ثم نهضت وارتدت ملايسها . لم يرد في ذهنها - كما لم يرد في المرة الأولى - أن داماسو ربما ما يزال خارج الحجر ، يقول لنفسه ان اللحظة قد فشلت ومنتظراً إياها أن تخرج صارخة . وقعت في نفس الخطأ للمرة الثانية : بدلاً من أن تلاحق زوجها ، ارتدت حذائها ، أغلقت الباب ، وجلست على السرير تنتظر .

فقط حين أغلق الباب فهم داماسو أنه لا يستطيع العودة الى الغرفة . لاحقه نباح الكلاب حتى نهاية الشارع ، بعد ذلك كان ثمة صمت كصمت الأشباح . كانت خطواته تحدث صوتاً عالياً وغريباً في شوارع المدينة النائمة . لم يتنبه لنفسه حتى وصل الى قطعة الأرض الخالية عند الباب الخلفي لقاعة اللعب .

هذه المرة لم يكن بحاجة الى استخدام مصباح اليد . لم تُصَف دعامات جديدة للباب فيما عدا الجزء الذي تقع فيه الرزة المكسورة . لقد نزعوا قطعة خشب في حجم وشكل قالب الطوب ، ووضعوا مكانها قطعة خشب جديدة ، ثم أعادوا تركيب الرزة القديمة . أما الباقي فكما هو . جذب داماسو القفل بيده اليسرى ، ووضع نهاية مبرد بين ساقى الرزة ثم راح يحرك المبرد للأمام والخلف مثل رافعة الفتيس ، بقوة ولكن بدون عنف ، حتى تكسر الخشب وتناثرت شظاياها . قبل أن يدفع الباب ، رفعه قليلاً ليقلل من ضجة احتكاكه بطوب الأرضية . فتح الباب الى نصفه فقط وأخيراً خلع حذائه ، وضعه مع ربطة الكرات ، وهو يرسم الصليب ، دخل الحجر يغمره ضوء القمر .

أمامه مباشرة كان ثمة ممر مظلم مكتظ بالزجاجات والصناديق الفارغة .

على مبعدة يسيرة ، وتحت ضوء القمر ، توجد مائدة البليارد ، ثم ظهر الكبائن ، وأخيراً المناضد الصغيرة والكراس مكمومة خلف الباب الأمامي . كل شيء كان كما هو مثل المرة الأولى ، فيما عدا ضوء القمر والصمت الهش الذي يخيم على المكان .

أحس داماسو ، الذي كان عليه حتى هذه اللحظة ان يسيطر على جهازه العصبي ، أحس بسحر غريب .

في هذه المرة لم يهتم بالطوب « الملخلخ » حشر الباب بحذائه وبعد أن عبر منطقة الضوء أضاء مصباح الجيب ليبحث عن صندوق الكرات الصغيرة خلف الكاونتر .

عمل دون حذر . وفيما هو يحرك المصباح من اليمين لليسار ، رأى كومة من الجرار المتربة ، وزوجاً من الركاب بالمهاميز ، وقميصاً ملفوفاً متسخاً بزيت المحرك ، ثم الصندوق الصغير في نفس البقعة التي تركه فيها . لكنه لم يوقف شعاع الضوء حتى آخر الكونتر . كانت هناك قطة .

نظر الحيوان إليه دون غموض ، في مواجهة الضوء . ظل داماسو مسلطاً الضوء على القطة حتى تذكر ، وقد انتابته رجفة خفيفة ، أنه لم يرها أبداً في المكان أثناء النهار . مد المصباح الى الامام وهو يقول « بسس !! » لكن الحيوان ظل جامداً لا يتحرك . ثم كان نوع من الانفجار الصامت داخل رأسه ، واختفت القطة تماماً من ذاكرته . وحين تحقق مما يحدث كان قد أطفأ المصباح وهو يحتضن لفة الكرات في صدره . ثم أضيئت الحجرة .

« حسن ! »

تعرف على صوت روك . وقف ببطء ، مستشعراً تعباً فظيماً في كليتيه . اقترب روك من نهاية الحجرة ، وهو يرتدي ملابسه الداخلية وفي يده قضيب حديدي ، وما زال الضوء يغشى عينيه . كانت ثمة أرجوحة شبكية معلقة خلف الزجاجات والصناديق الفارغة ، قريبة جداً من البقعة التي مر بها داماسو حين

دخل . هذا أيضاً مختلف عن المرة الأولى .

حين كان على مبعده ثلاثين قدماً أو أقل وثب روك وثبة صغيرة واتخذ
وضعاً دفاعياً . أخفى داماسو يده التي تمسك بالصرة خلف ظهره . غضن روك
أنفه ومد رأسه ، محاولاً أن يتعرف عليه بدون نظارة .
« أنت ! » صاح متعجباً .

أحس داماسو كما لو أن شيئاً أزلياً قد انتهى أخيراً . أنزل روك قضيب
الحديد واقترب منه فاغر الفم . دون نظارات ودون أسنانه الصناعية بدا روك
مثل امرأة :

« ماذا تفعل هنا ؟ »

« لا شيء » قال داماسو .

غير مكانه بحركة سريعة .

- « ما الذي معك ؟ »

تراجع داماسو الى الوراء : « لا شيء » .

احمر وجه روك وبدأ يرتعش :

« ما الذي معك ؟ » صاح ، متقدماً للأمام رافعاً القضيب الحديد .

أعطاه داماسو اللفة . أخذها روك بيده اليسرى ، وهو ما يزال في وضع

دفاعي ، وفحصها بأصابعه . حينئذ فقط فهم :

« مستحيل ! » .

أذهلته المفاجأة ، حتى أنه وضع القضيب الحديد على الكاونتر وبدأ أنه

نسي داماسو فيما كان يفتح اللفة . تأمل كرات البيسبول في صمت .

« جئت لأعيدها » قال داماسو .

« طبعاً » قال روك .

أحس داماسو بالانهك . كان تأثير الكحول قد زايله تماماً ، ولم يبق سوى

مذاق الثمالة ، أشبه بطعم الحصى ، على طرف لسانه ، وشعور مبهم
بالوحدة . قال روك : « اذن فهذه هي المعجزة ، لا أصدق أنك بهذا الغباء » .
وحين رفع رأسه ، كان قد غير تعبيرات وجهه :
« والمائتي بيزو ؟ »

رد داماسو : « لم يكن هناك شيء في الدرج » .

نظر روك اليه بامعان ، محرّكاً فكّيه ، ثم ابتسم : « لم يكن هناك
شيء » ، وكررها عدة مرات : « اذن فلم يكن هناك شيء » . وأمسك
بالقضيب مرة اخرى وهو يقول :

« حسن ، إننا ذاهبان لنخبر العمدة بهذه القصة فوراً » .

جفف داماسو عرق يديه في منطاله :

« أنت تعرف أنه لم يكن يوجد شيء » .

ظل روك مبتسماً :

« كان في الدرج مائتي بيزو ، والآن سوف يخرجون هذه النقود من
جلدك ، أن تكون لصاً ليس أسوأ من أن تكون مغفلاً ! » .

* * * *

جابريل جارسيا ماركيز :

ورود صناعية

في عتمة الفجر كانت مينا تعرف طريقها . ارتدت ثوبها بلا أكمام ، وكانت في الليلة السابقة قد علقت به جوار السرير ، وبحث في صندوق الثياب عن الأكمام المنفصلة . ثم بحثت عنها على المسامير المثبتة في الحيطان ، وخلف الأبواب ، محاولة ألا تُحدث صوتاً حتى لا توقظ جدتها العمياء التي كانت تنام في نفس الحجرة . ولكنها عندما اعتادت الظلمة لاحظت أن الجدة قد استيقظت ، فذهبت إليها في المطبخ لتسألها عن الأكمام .

« إنها في الحمام » . قالت المرأة العمياء . قد غسلتها أمس بعد الظهر .

كانت الأكمام هناك ، معلقة على سلك بمشكين خشبيين كانت ما تزال مبتلة . رجعت مينا إلى المطبخ وشدت الأكمام على أحجار الموقد . أمامها كانت المرأة العمياء تحرك القهوة ، وحدقتا عينيها الميتين مثبتتان على سور الشرفة الحجري حيث كان يوجد صف من الأصص زُرعت بها أعشاب طيبة .

قالت مينا « لا تأخذي حاجياتي مرة ثانية هذه الأيام لا تستطيعين الاعتماد على الشمس . حركت المرأة العمياء وجهها صوب الصوت ثم قالت :
« لقد نسيت أن اليوم هو الجمعة الكبيرة » .

وبعد أن تشممت القهوة بنفس عميق لتري إن كانت قد نضجت ، أخذت الاناء من على النار . ثم قالت :
« ضعي قطعة ورق تحت ، لأن هذه الأحجار متسخة » .

مرت مينا بسابقتها على أحجار الموقد . كانت متسخة ، ولكن طبقة السناج الصلبة لم تكن لتجعل الأكمام تتسخ ما لم يكن أحد قد دعكها على الأحجار .

قالت : « إذاً كانت قد اتسخت فأنت المسئولة » .

صبت المرأة العمياء لنفسها فنجان قهوة . ثم قالت وهي تجذب كرسيها الى الشرفة : « أنت غاضبة ، وحرام أن يشترك^(١) المرء وهو غاضب » . جلست تشرب قهوتها قبالة الورود في الشرفة . وحين دق الجرس معلناً للمرة الثالثة عن القداس ، أخذت مينا الأكمام من على أحجار الموقد وكانت ما تزال مبتلة . ولكنها لبستها . لن يسمح لها الأب أنجيل بالتناول وهي عارية الأكتاف . لم تغسل وجهها . أزال أثار أحمر البشفاة بمنشفة ، أخذت كتاب الصلاة وشالاً من حجرتها ثم نزلت الى الشارع . بعد ربع ساعة عادت ثانية .

قالت المرأة العجوز وهي جالسة أمام الورود في الشرفة : « ستذهبين بعد قراءة الإنجيل » .

ذهبت مينا فوراً الى المرحاض وهي تقول : « لا أستطيع الذهاب الى القداس . الأكمام مبتلة والثوب كله مجمد » . أحست بنظرة ثاقبة تتبعها .

أوضحت المرأة العمياء قائلة :

« الجمعة الكبيرة ولن تذهبي الى القداس ؟ »

إثر عودتها من المرحاض ، صبت مينا لنفسها فنجان قهوة وجلست في مواجهة الممر الأبيض المغسول ، بجوار المرأة العمياء . لكنها لم تمتدح شرب القهوة .

« اللوم يقع عليك » غمغمت مينا بحقد دفين وقد أحست أنها تفرق في دموعها .

« أنت تبكين ! » . تعجبت المرأة العمياء .

وضعت إناء الماء بجوار باقي الأواني وخرجت الى الشرفة وهي تكرر « أنت تبكين » . وضعت مينا فنجانها على الأرض قبل أن تجلس وقالت : « إني أبكي من الغضب » ثم أضافت ، وهي تمر الى جوار جدتها « يجب أن تذهبي

(١) أي يشترك في طقوس تناول في الكنيسة .

للاعتراف لأنك تسبب في غيابي عن اشتراك الجمعة الكبيرة .
ظلت المرأة العمياء بلا حراك ، منتظرة مينا أن تغلق باب حجرة النوم .
ثم مشت الى نهاية الشرفة . مالت بجزعها حتى وجدت الفنجان الذي لم يمس
على الأرض . وبينما كانت تصب القهوة ، اسمرت قائلة :
« الله يعلم أن ضميري سليم » .

خرجت أم مينا من حجرة النوم . سألت :

- « إلى من تتحدثين ؟ »

ردت المرأة العمياء :

- « لا أحد . قلت لك من قبل . إني في طريقي الى الجنون » .

في حجرتها حلت مينا أزرار صدريتها وأخرجت ثلاثة مفاتيح صغيرة
كانت تحملها مشبوكة بدبوس . وبواحد من هذه المفاتيح فتحت الدرج السفلي
للدولاب وأخذت صندوق الثياب الصغيرة . فتحته بمفتاح آخر . بداخله كانت
توجد رزمة خطابات مكتوبة على ورق ملون ، مربوطة بخيط من المطاط .
خبأتها في صدريتها ، وضعت الصندوق الصغير في مكانه ، وأغلقت الدرج .
ثم ذهبت الى المرحاض ورمت الخطابات فيه .

« ظننت أنك في الكنيسة » ، قالت أمها حين دخلت مينا الى المطبخ .

قاطعتها المرأة العمياء : « لم تستطيع الذهاب ، لقد نسيتُ أنا أن اليوم هو
الجمعة الكبيرة ، وغسلتُ الأكمام أمس بعد الظهر » .
« غمغمت مينا : « ما تزال مبتلة » .

قالت المرأة العمياء : « كان عليّ أن أعمل بمشقة هذه الأيام » .

قالت مينا : « عليّ أن أسلم مائة وخمسين دسطة ورد لعيد القيامة » .

اشتدت حرارة الشمس مبكراً . قبل الساعة رتبت مينا محل الزهور
الصناعية الذي تملكه في حجرة المعيشة : سلة مليئة بتويجات الزهور والأسلاك ،
صندوق مليء بورق الكريب ، مقصان ، بكرة خيط ، وإناء صنمغ . بعد برهة
وصلت ترينيداد ، وتحت ذراعها صندوق من الورق المقوي ، وسألتها لماذا لم

تذهب الى القديس .

قالت مينا : « ليس عندي أي أكمام » .

ردت ترينيدات : « أي واحدة كان يمكن أن تعيرك أكماماً .

سحبت كرسياً وجلست بجوار سلة التويجات وقالت مينا : « تأخرت

جداً .

أكملت وردة . ثم جذبت السلة قريباً منها لتشذب التويجات

بالمقص . وضعت ترينيدات الصندوق الكرتون على الأرض وبدأت العمل .

نظرت مينا الى الصندوق . سألت :

« هل اشتريت حذاء ؟ »

أجابت ترينيدات : « إنها فئران ميتة » .

منذ أن أصبحت ترينيدات خبيرة في تطريز التويجات ، صارت مينا تقضي وقتها في عمل سيقان الزهور من السلك الملفوف بالورق الأخضر . كانتا تعملان في صمت دون أن تلحظا تقدم الشمس في غرفة المعيشة التي كانت تزيناها صور الرعاة المطبوعة والصور الفوتوغرافية لأفراد العائلة وحين انتهت من عمل السيقان اتجهت مينا نحو ترينيدات بوجه بدا أنه ينتمي الى شيء غير مادي . كانت ترينيدات تطرز بمهارة تثير الاعجاب ، لا تكاد تحرك طرف التويج بين أصابعها ، وساقان مضمومتان . لاحظت مينا حذاءها الرجالي . تجنبت ترينيدات النظرة دون أن ترفع رأسها ، وبخفة سحبت قدميها الى الخلف ، وكفت عن العمل .

قالت : « ما الحكاية ؟ »

مالت مينا تجاهها وقالت : « لقد رحل »

رمت ترينيدات المقص في حجرها :

- « لا . »

كررت مينا : « لقد رحل » .

نظرت ترينداد اليها دون أن تطرف لها عين . قسمت تجعيدة رأسية حاجبيها المقطبين .

سألت : « والآن ؟ »

أجابت مينا بصوت ثابت :

- « الآن لا شيء » .

أرادت ترينداد أن تنصرف قبل العاشرة .

استوقفتها مينا - وقد تحررت من ثقل همها الشخصي - استوقفتها لحظة لتلقي بالفئران الميتة في المراض .

كانت المرأة العمياء تشذب شجيرة الورد .

قالت لها مينا وهي تمر : « أراهن أنك لن تعرفي ما في هذا الصندوق » . وهزت الفئران .

بدأت المرأة العمياء تركز انتباهها وقالت : « هزبه مرة أخرى » . أعادت مينا الحركة ، لكن المرأة العمياء لم تستطع التعرف على ما بداخل الصندوق بعد أن انصتت للمرة الثالثة وهي تضغط بسبابتها على شحمة أذنها .

قالت مينا : « إنها الفئران التي وقعت في مصيدة الكنيسة ليلة أمس .

عندما عادت مرت بجوار المرأة العمياء دون كلمة . لكن المرأة العمياء تبعتها . وعندما وصلت الى غرفة المعيشة كانت مينا وحدها بجوار النافذة المغلقة ، تكمل الزهور الصناعية .

قالت المرأة العمياء : « مينا ، إذا أردت أن تكوني سعيدة فلا تعترفي مع الغرباء » .

نظرت مينا اليها دون أن تنطق بكلمة .

جلست المرأة العمياء على الكرسي في مواجهتها وحاولت أن تساعدتها في العمل . ولكن مينا اوقفتها .

قالت المرأة العمياء : « أنت عصبية » ثم سألت : « لماذا لم تذهبي الى
القداس ؟

- « أنت تعرفين أكثر من أي واحد » .

قالت العمياء : « لو كانت الأكمام هي السبب ، لما اهتممت بالخروج
من البيت . كان شخصٌ ما في انتظارك على الطريق وسبب لك نوعاً من خيبة
الأمل » .

مرت مينا بيديها أمام عيون جدتها ، كما لو كانت تنظف لوحاً زجاجياً غير
مرثي .

ثم قالت لها : « أنت ساحرة » !

قالت المرأة العمياء : « لقد ذهبت الى المرحاض مرتين هذا الصباح .
وأنت لا تذهبين أكثر من مرة واحدة » .

استمرت مينا في عمل الزهور . سألتها المرأة العمياء : « هل تجرؤين على
أن تُريني ما تخبئينه في درج الدولاب ؟ »

على مهل لصقت مينا الوردة على إطار النافذة ، وأخذت المفاتيح الثلاثة
الصغيرة من صديريتها ، ووضعتها في يد المرأة العمياء التي اغلقت أصابعها .

قالت مينا : « اذهبي أنت لترى بعينيك » .

فحصت العمياء المفاتيح الصغيرة بأطراف أصابعها . ثم قالت :

« إن عيني لا تستطيعان رؤية ما بأعماق المرحاض » .

رفعت مينا رأسها ثم شعرت باحساس مختلف ، شعرت أن المرأة العمياء
عرفت أنها تنظر إليها . قالت :

« إقذني بنفسك في أعماق المرحاض اذا كان ما أفعله يهملك الى هذا
الحد » .

تجاهلت المرأة العمياء هذه المقاطعة وقالت :

وإنك دائماً تظلين مستيقظة في فراشك تكتبين حتى مطلع الصباح .

قالت مينا :

- « أنت نفسك تطفئين النور » .

ردت العمياء :

- وفوراً تضيئين المصباح اليدوي ، أستطيع أن أقول لك إنك تكتبين مثلما

تتنفسين .

جاهدت مينا لكي تبقى هادئة ، ثم قالت دون أن ترفع رأسها :

« حسناً ، ولنفرض أن هذا صحيح ، فماذا يهمك في هذا ؟ » .

- لا شيء ، سوى أن هذا جعلك لا تلحقين بقداس الجمعة الكبيرة » .

بكلتا يديها التقطت مينا لفة الخيط ، والمقص ، وحفنة من الورود

والسيفان التي لم تنته بعد . وضعتها جميعاً في السلة وواجهت المرأة العمياء :

- هل تودين أن أخبرك أنني ذهبت لأفعلها في المرحاض ؟

ظلت كلتاها في حالة ترقب حتى أجابت مينا على سؤالها :

- ذهبت لأخذ خراء .

ألقت المرأة العمياء بالمفاتيح الثلاثة الصغيرة في السلة ، وهممت وهي

ذاهبة الى المطبخ :

- يا له من عذر لائق ، كان يمكن أن تقنعيني لو لم تكن هذه هي المرة

الأولى التي تسيين فيها . « كانت والدة مينا قادمة عبر الممر في الاتجاه المضاد ،

وكانت ذراعها مليئتان بباقات الزهور ذات الأشواك . سألت :

- ما الذي يحدث ؟

أجابت المرأة العمياء :

- « إنني مجنونة ، ولكنك في الغالب لن ترسليني الى المصلحة العقلية ما

دمت لم أبدأ في إلقاء الأحجار » .

* * *

عينا كلب أزرق

قصة قصيرة

ثم نظرتُ إليّ . ظننت أنها كانت تنظر لي للمرة الأولى . لكن عندئذ ، عندما استدارت خلف المصباح وكنت ما أزال أحس نظراتها المراوغة المداهنة خلفي ، عبرتني ، فهمت أني أنا الذي كنت أنظرُ إليها للمرة الأولى . أشعلتُ سيجارة . سحبتُ نفساً من الدخان النفاذ قبل أن أدورَ بالكُرسي مرتكزاً على إحدى رجليه الخلفيتين . بعد ذلك رأيتها هناك ، كما لو أنها كانت واقفة بجوار المصباح تنظر إليّ كل ليلة . لدقائق قليلة كان ذلك كل ما فعلناه : ينظرُ كلُّ منا إلى الآخر . نظرت من على الكرسي ، مرتكزاً على إحدى رجليه الخلفيتين . ووقفتُ هي ، ويدها الطويلة الهادئة على المصباح ، تنظرُ إليّ . رأيتُ جفنيها مضيئين مثل كل ليلة . عندئذ تذكرت الشيء المعتاد ، عندما قلت لها : « عينا كلب أزرق » . دون أن ترفع يدها عن المصباح قالت لي « هكذا . لن ننسى ذلك » . تحركتُ من مكانها وهي تتهدد : « عينا كلب أزرق . لقد كتبتها في كل مكان » .

رأيتها تسير صوب « التسريحة » . راقبتها وهي تبين في زجاج المرأة الدائري تنظر إليّ بعينيها الجمرتين العظيمتين : تنظر إليّ بينما كانت تفتح الصندوق الصغير المغطى بلؤلؤة وردية اللون . رأيتها تضع المسحوق على أنفها . عندما انتهت ، أغلقتُ الصندوق ، ووقفتُ مرة أخرى ، ومشيتُ صوب المصباح قائلة : « أخاف أن يكون أحدهم يحلم بهذه الحجرة ويكشف أسراري » . وفوق لهب المصباح مدت نفس اليد الطويلة المرتجفة التي كانت تدفئها قبل أن تجلس إلى المرأة . وقالت : « ألا تحس بالبرد » وقلت لها : « أحياناً » وقالت لي : « يجب أن تحس به الآن »

عندئذ فهمت لماذا لم أستطع أن أكون وحيداً على المقعد . كان البرد هو الذي يعطيني يقين وحدتي . قلت « الآن أحس به وهذا شيء غريب لأن الليلة هادئة . ربما سقطت الملاءة » . لم تُجِب . مرة أخرى بدأت تتحرك صوب المرأة واستدرتُ ثانية بالكرسي ، معطياً ظهري لها . ودون أن أراها ، كنت أعرف ماذا تفعل . كنت أعرف أنها جالسة أمام المرأة مرة ثانية ، ترى ظهري الذي كان لديه الوقت ليصل الى أعماق المرأة ويقع تحت بصرها الذي كان أيضاً لديه الوقت ليصل الى الأعماق ويعود قبل أن تبدأ اليد الدورة الثانية - حتى كانت شفتاها الآن مدهونتين باللون القرمزي منذ أول دورة ليدها أمام المرأة . رأيت ، . في مواجهتي الحائط الناعم الذي كان يشبه مرآة أخرى عمياء لم أستطع أن أراها فيها - جالسة خلفي - ولكني استطعتُ أن تخيلها في مكانها المحتمل كما لو أن مرآة قد عُلقَت مكان الحائط . قالت لها : « إني أراك » وعلى الحائط رأيت كما لو أنها رفعت عينيها ورأتني في أعماق المرأة وظهري موجه نحوها من الكرسي ، ووجهي نحو الحائط . ثم رأيتها تخفض عينيها مرة أخرى وظلتُ وعيناها دائماً على حمالة ثدييها ، ولا تتكلم . وقلت لها ثانية : « إني أراك » . ورفعت عينيها من على حمالة ثدييها مرة أخرى . قالت « هذا مستحيل » . سألتها لماذا . قالت وعيناها هادئتان وعلى حمالة ثدييها مرة أخرى : « لأن وجهك موجه نحو الحائط » . عندئذ أدرت الكرسي . كانت السيجارة مثبتة في فمي . وعندما بقيتُ مواجهاً المرأة عادت هي الى جوار المصباح . الآن يداها مفتوحتان ومدودتان فوق اللهب ، مثل جناحي دجاجة ، تشوي نفسها ، ووجهها تظلمه أصابع يديها . قالت : « أظن أني سأصاب بالبرد لا بد أن هذه مدينة ثلجية » . أدارتُ وجهها ليصبح « بروفيل » وجلدها تحول من النحاس الى الأحمر ، وفجأة صارت حزينة . قالت « افعل شيئاً » ثم راحت تخلع ملابسها قطعة قطعة بنادئة من فوق ، بحمالة ثدييها . قلت لها : « سأستدير الى الحائط . » قالت : « لا على أي حال ستراني كما رأيتني عندما كنت تديرُ ظهرك » وما أن فرغت من قولها هذا حتى كانت قد أصبحت عارية تماماً ،

واللهب يلحق جسدها النحاسي الطويل .

« دائماً كنت أرغب أن أراك هكذا ، وبطنك ملىء بالندوب ، كما لو كنت قد ضُربتِ » . وقبل أن أتحدث من أن كلماتي كانت فجأة في ضوء عريها صاريت بلا حركة ، تدفء نفسها على كرة المصباح ، وقالت : « أحياناً أفكر انني مصنوعة من المعدن » . وصمتت للحظة . تغير وضع يديها فوق اللهب قليلاً . قلت : « أحياناً ، في أحلام أخرى ، فكرتُ أنك لستِ سوى تمثال برونزي صغير في ركن متحف ما . وربما كنت باردةً لهذا السبب . وقالت : « أحياناً ، عندما أنام على قلبي ، أستطيعُ أن أحس بجسدي يصير أجوفاً وجلدي . رقائق من معدن . ثم حين يجري الدمُ دفقاً في داخلي ، أحس كأن شخصاً يناديني ويطلق على معدتي وأستطيع أن أحس صوتي النحاسي في السرير . أنه أشبه بما تسمونه بالمعدن المطروق » . اقربتُ أكثر من المصباح . قلتُ : « أود أن أسمعك » . وقالت : « إذا وجد كلُّ منا الآخر ضع أذنك على أضلعي حين أنام على الجنب الشمال وسوف تسمعي أردد الصدى . طالما أردتِك تفعل هذا يوماً ما » . سمعتها تتنفس بثقل وهي تتحدث . وقالت إنها لسنوات لم تفعل شيئاً آخر . وأن حياتها قد كُرسَت للعثور عليّ في الواقع ، من خلال كلمة السر هذه : « عينا كلب أزرق » . وأنها كانت تسيرُ عبر الشوارع تقوّلها بصوت عال ، كطريقة تُبلغُ بها الشخصَ الوحيد الذي يستطيعُ فهمها :

« أنا التي أجيء في أحلامك كل ليلة وأقول لك « عينا كلب أزرق » » .

وقالت انها كانت تذهبُ الى المطاعم وقبل أن تُطلبَ أي شيء كانت تقول للجرسونات : « عينا كلب أزرق » . لكن الجرسونات كانوا ينحنون تبجيلاً دون أن يتذكروا أنهم قالوا هذا في أحلامهم . ثم كانت تكتبُ على المفارش وتحفرُ بسكين على طلاء الموائد : « عينا كلب أزرق » وعلى النوافذ التي يغبشها البخار في الفنادق ، والمحطات ، وكل المباني العامة كانت تكتبُ بسبابتها : « عينا كلب أزرق » . قالت إنها ذهبتُ مرةً الى مخزن أدوية ولاحظت نفس الرائحة التي شمتهما في حجرتها ذات ليلة بعد أن حلمتُ بي . وقالت لنفسها ، وهي ترى

الأرضية المكسوة بالفلين النظيف الجديد في مخزن الأدوية (لا بد أنه قريب من هنا) . ثم ذهبت الى البائع وقالت له « عينا كلب أزرق » وقالت أن البائع نظر في عينيها وقال لها : « حقيقة يا آنسة ، إن لك فعلاً عينين مثل التي تقولين عنها » . وقالت له « عليّ أن أجد الرجل الذي قال لي هذه الكلمات بالذات في أحلامي » . وبدأ البائع يضحك وذهب الى الطرف الآخر من المحل . ظلت ترى الفلين النظيف وتشم الرائحة القوية . وكتبت بحروف حمراء : « عينا كلب أزرق » . جاء البائع من حيثما كان . قال لها : « مدام ، لقد وسخت الفلين » وأعطاهها قطعة قماش مبلولة وهو يقول « نظفية » . وقالت ، وهي ما تزال بجانب المصباح إنها أمضت بعد الظهر كله منحنية تنظف الفلين وهي تصرخ « عينا كلب أزرق » حتى تجمع الناس على الباب وقالوا إنها مجنونة .

* * *

والآن ، عندما انتهت من كلامها ، بقيت في الركن ، جالساً ، أهتز بالكرسي . قلت « كل يوم أحاول أن أتذكر الجملة التي سأجدها بها والآن أظن أنني لن أنساها غداً . ومع ذلك فدائماً كنت أقول نفس الشيء وعندما أستيقظ أنسى دائماً الكلمات التي يمكن أن أجدها بها » . وقالت « إنك أنت الذي ابتكرت هذه الكلمات في اليوم الأول » . وقلت لها : « أنا ابتكرتها لأنني رأيت عينيك الرماديتين . لكن أبداً لم أتذكرها في الصباح التالي » . تنفست بعمق وقبضتها مثبتتان بجوار المصباح : « لو استطعت على الأقل أن تتذكر الآن في أي مدينة كنت أكتبها » .

لمعت اسنانها في ضوء اللهب . قلت : « أود أن ألمسك الآن » . رفعت الوجه الذي كان ينظر الى اللهب ، رفعت نظرتها ، محترقة ، مشوية ، أيضاً ، تماماً مثلها ، مثل يديها ، وشعرت أنها رأني ، في الركن حيث كنت جالساً ، هتز مع الكرسي . قالت : « إنك لم تخبرني بذلك أبداً » . قلت : « ها أنا أخبرك الآن ، وإنها حقيقة » .

من الجانب الآخر من المصباح طلبتُ سيجارة . كان عقب السيجارة قد اختفى بين أصابعي . نسيتُ أي كنتُ أدخن . قالت : « لا أعرف لماذا لا أستطيع أن أتذكر أين كتبتها » . وقلتُ لها : « لنسى السبب الذي من أجله لن أكون في الغد قادراً على تذكر الكلمات » . وقالت بحزن : « لا . . . إنما أحياناً أفكر أني حلمت بذلك أيضاً » . وقفتُ ومشيتُ صوب المصباح . كانت وراءه بقليل ، وواصلتُ المشي والسيجارة والثقاب في يدي التي لن تمتد وراء المصباح . قدمتُ لها السيجارة وضعتها بين شفتيها ومالتُ للامام لتصل إلى اللهب قبل أن يكون لديّ الوقت لاشعال الثقاب . قلتُ « في مدينة ما في العالم ، على كل الجدران ، يجب أن تظهر هذه الكلمات مكتوبة : « عينا كلب أزرق » لو تذكرتها غداً لأستطعت أن أجدك » .

رفعت رأسها ثانية وكانت الجمرة المضيئة بين شفتيها . « عينا كلب أزرق » هكذا تنهدتُ متذكراً ، والسيجارة تميل إلى ذقنها واحدى عينيها نصف مغلقة . ثم سحبتُ نفساً من السيجارة وهي تُضعها بين أصابعها وأوضحت : « هذا شيء آخر الآن . إن الدفء يسري فيّ » قالت ذلك بصوت فاتر يتلاشى ، كما لو أنها لم تقله أصلاً ، لكن كما لو أنها كتبه على قطعة من الورق وقربت الورقة من اللهب بينما أنا أقرأ : « إن الدفء . . . » ثم ظلت ممسكة بها بين السبابة والابهام ، وهي تدبرها فيما كانت - الورقة - تحترق ولم أقرأ سوى « . . . » في « قبل أن تحترق الورقة تماماً وتسقط إلى الأرض وقد تحولت إلى رماد مضىء . قلت : « هذا أحسن . أحياناً ارتعب وأنا أراك بهذا الشكل ترتعشين بجانب المصباح » .

كنا نرى بعضنا لسنوات عديدة . أحياناً ، عندما نكون معاً ، كان يحدث أن يلقي أحدهم بمعلقة في الخارج فكنا نسيقظ . وشيئاً فشيئاً بدأنا نفهم أن صداقتنا تابعة لأشياء ، لأبسط الأحداث . كانت لقاءاتنا دائماً تنتهي على هذا النحو ، بسقوط معلقة في الصباح الباكر .

والآن ، وهي واقفة وراء المصباح ، كانت تنظر إليّ . تذكرت أنها كانت تنظر إليّ في الماضي بنفس الطريقة ، منذ ذلك الحلم البعيدة حيث كنت أدير الكرسي على إحدى رجليه الخلفيتين وأنا أواجه امرأة غريبة بعينين رماديتين . إنه ذلك الحلم الذي سألتها فيه لأول مرة : « من أنت ؟ » وقالت لي : (إني لا أتذكر) . قلت لها : « لكن أظن أننا رأينا بعضنا من قبل » . وقالت بلا مبالاة : « أظن أني حلمت بك مرة ، بنفس هذه الحجرة » . وقلت لها : « تماماً . إني بدأت أتذكر الآن » . وقالت « يا للغرابة . من المؤكد أننا تقابلنا في أحلام أخرى » .

أخذت نفسي من السيجارة . كنت ما أزال واقفاً ، مواجهاً المصباح ، حين ، فجأة ، ثبت نظري عليها . نظرت إليها من فوق لتحت وكانت ما تزال نحاساً . معدناً جامداً وبارداً ، لكنه نحاس أصفر رقيق قابل للطرق . قلت مرة ثانية : « أود لو ألسك » . فقالت : « ستدمر كل شيء » . قلت : « لا يهم الآن . ما علينا إلا أن نقلب الوسادة لكي نتقابل ثانية » . ومددت يدي فوق المصباح . لم تتحرك . قالت قبل أن أستطيع لمسها : « إنك ستدمر كل شيء » . ربما . إذا أنت درت وجئت خلف المصباح ، فسوف نستيقظ مرعوبين في مكان ما من العالم لا نعلم ما هو » . لكنني أصريت قائلاً : « لا يهم » فقالت : « إذا قلبنا الوسادة فسوف نتقابل ثانية . لكن حين تصحو ستكون قد نسيت » . بدأت أتحرك ضوب الركن . بقيت هي خلف المصباح تدفئ يديها على اللهب . ولم أكن قد اقتربت من الكرسي حين سمعتها تقول خلفي : « عندما استيقظ في منتصف الليل ، أظلمت في السرير ، وهداب الوسادة يحرق ركبتني ، وأردد حتى الفجر : « عينا كلب أزرق » . ثم بقيت ووجهي صوب الحائط . قلت دون أن أنظر إليها « إن الفجر يقترب . عندما دقت الساعة الثانية كنت مستيقظاً وكان هذا منذ وقت طويل مضى » . وذهبت إلى الباب . وعندما أمسكت بالمقبض سمعت صوتها مرة ثانية ، نفس الصوت لا يتغير . قالت « لا تفتح هذا الباب . إن الطريقة مليئة بالأحلام الصعبة » . وسألتها : « كيف عرفت ؟ » .

وقالت لي : « لأنني كنت هناك منذ لحظة وكان علي أن أعود حين اكتشفت أنني أنام على قلبي . » كان الباب نصف مفتوح . حركته قليلاً فهبت نسمة باردة حملت لي معها الرائحة الطازجة للأرض الخضراء والحقول البديية . تحدثت مرة أخرى . استدرت ، وما زلت أحرك الباب ذي المفصلات الصامتة ، وقلت لها : « لا أظن أنه توجد أية طريقة بالخارج . أنا اتلقى رائحة الريف » . قالت لي وهي بعيدة بعض الشيء : « إني أعرف هذا أحسن منك . ما يحدث هو أن ثمة امرأة بالخارج تحلم بالريف » . وعقدت ذراعيها فوق اللهب . وواصلت كلامها : « إنها تلك المرأة التي كانت تريد دائماً أن يكون لها بيت في الريف ولم تكن أبداً قادرة على ترك المدينة . » تذكرت أنني قد رأيت المرأة في بعض الأحلام الماضية ، لكن عرفت ، والباب موارب الآن ، إنه في خلال نصف ساعة سيكون علي أن أنزل للافطار . وقلت : « أياً كان الأمر ، علي أن أمشي من هنا من أجل أن أستيقظ » .

في الخارج هبت الريح للحظة ، ثم هدأت وكان بالامكان سماع تنفس إنسان نائم قد تقلب لتوه في الفراش .

الآن توقفت الرياح الآتية من الحقول ، لم تعد هناك روائح . قلت « غداً سوف أتعرف عليك بهذا . سوف أعرفك عندما أرى في الشارع امرأة تكتب : « عينا كلب أزرق » على الجدران . ردت عليّ بابتسامة حزينة كانت بالفعل ابتسامة استسلام للمستحيل ، لما لا يمكن الوصول إليه : « لكنك لن تتذكر أي شيء خلال النهار » . ووضعت يديها على المصباح ، واكتست ملامحها بسحابة من الأسى . « إنك الرجل الوحيد الذي لا يتذكر شيئاً ، مما يحلم به ، بعد أن يستيقظ » .

١٩٥٠

* * *

قصة من البرازيل :

الرجل الذي ظهر

تأليف الكاتبة البرازيلية :

كلاريس ليسكتور

مقدمة

ربما كانت كلاريس ليسكتور أهم كاتبة في البرازيل . ولدت عام ١٩٢٢ وكان كتابها الأول بعنوان La Cos di Familia الذي ظهر عام ١٩٥٠ ، وهو يضم مجموعة من القصص القصيرة من ضمنها قصتها الذائعة « جريمة مدرس الرياضة » والتي ظهرت في عدة منتخبات مثل « قصص برازيلين حديثة » ترجمة وتحرير وليام جروسمان ، نشر مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٦٧ كما نشرت كلاريس لسكتور ست روايات من بينها « التفاحة في الظلام » عام ١٩٦٧ و« الوجد طبقاً لج . هـ » عام ١٩٦٤ . وهي كاتبة مهتمة أساساً بالقيم الانسانية والروحية ، لها أسلوبها وحساسيتها المميزين .

كان اليوم يوم سبت بعد الظهر ، حوالي السادسة أو قرب السابعة
نزلت من البيت لاشرى كوكا كولا وسجائر . عبرت الشارع وتوجهت صوب
المحل الصغير الذي يملكه مانويل البرتغالي .

وبينما كنت أنتظر دوري ، اقترب مني رجل يعزف على هارمونيكا
صغيرة . نظر إليّ عزف لحناً قصيراً ، ونطق أسمى . قال انه عرفني في المركز
الثقافي الانجليزي ، حيث كنت قد درست في الحقيقة لمدة شهرين أو ثلاثة . قال
لي « لا تخافي مني » أجبت « أنا لست خائفة ، ما اسمك ؟ » أجاب بالانجليزية
وبابتسامة حزينة : « فيما بهم الاسم ؟ » ثم قال لمانويل : « هذه المرأة التي
أمامك لا تتفوق عليّ سوى لأنها تكتب وأنا لا أكتب » .

لم يبد على مانويل أي رد فعل . كان الرجل ثملاً تماماً . وحين أخذت
حاجياتي وهممت بالانصراف قال « هل يمكن أن أتشرف بحمل الزجاجات
والسجائر ؟ »

ناولته الأشياء التي اشتريتها . وعند باب العمارة أخذت الكوكاكولا
والسجائر . وقف أمامي بلا حراك . ثم لما وجدت أن وجهه مألوف جداً لي
سألته اسمه .

« أنا كلوديو »

« كلوديو من ؟ »

« حسن .. هل يمكن أن توقفي هذا . من من ؟ اسمي كلوديو

بريتو .. »

صحت « كلوديو .. يا إلهي ، ارجوك اصعد معي الى شقتي ! »

« في أي طابق أنت ؟ »

قلت له الطابق الذي اسكن فيه ورقم شقتي . قال انه ذاهب لدفع فاتورة
في المحل الصغير ثم سيصعد عندي بعد ذلك .

كانت ثمة صديقة معي في شقتي . أخبرتها بما حدث وقلت : « قد لا يأتي

لأنه خجول جداً » .

قالت صديقتي « لن يأتي ، أنه ثمل ، سوف ينسى رقم الشقة . وإذا جاء فسوف لا يغادر المكان . قولي لي إذا كنت تريد أن أذهب لغرفتي وأترككما وحدكما » .

انتظرت - لا شيء . صدمتني الهزيمة . . هزيمة كلوديو بريتو ، أحسست بالاكتئاب وغيرت ملابسي . ثم دق جرس الباب . وعبر الباب المغلق سألت من الطارق . قال « كلوديو » .

قلت « انتظر عندك على المقعد في الممر . سوف أفتح الباب بعد دقيقة » .

غيرت ملابسي . كان كلوديو هذا شاعراً كبيراً . ماذا فعل بنفسه طوال هذه المدة ؟ دخل ، وسرعان ما بدأ يلعب مع كليبي وهو يقول أن الحيوانات وحدها هي التي تفهمه . سألته أن كان يريد قهوة . قال « أنا لا أشرب إلا المشروبات القوية . إني أسكر منذ ثلاثة أيام » .

كذبت عليه وقلت له للأسف أنه لا يوجد بالبيت أية مشروبات روحية . وصممت أن أحضر له قهوة . نظر إلي نظرة جادة وهو يقول « لا تعطيني أوامر » .

أجبت « أنا لا أمرك . . إنني أسألك أن تشرب قهوة ، لدي ترموس مليء بالقهوة اللذيذة » .

قال انه يحب قهوته مركزة . أحضرت كوب شاي مليئاً بالقهوة مع قليل من السكر لم يلمسها . ألححت عليه . ثم شرب القهوة وهو يتحدث الي كليبي « . إذا كسرت هذا الفنجان فسأدفع أنا ثمنه . أنظري كيف ينظر الي ، إنه يفهمني » .

- « أنا أيضاً أفهمك » .

- « أنت ؟ إن الشيء الوحيد الذي يهتمك هو الأدب . »

- « حسن . أنت مخطيء . إن أطفالي ، عائلتي ، أصدائي - يأتون أولاً » .

نظر إليّ متحيراً ، وسألني « هل تقسمين أن الأدب لا يهيك ؟ »
- « أقسم بذلك » أجبته . بالتأكيد الذي يأتي من الاحساس بالحقيقة
الداخلية . وأضفت « أي قطعة ، أي كلب تستحق الاهتمام أكثر من الأدب »
قال : « في هذه الحالة شدي على يدي . إني أثق بك »

- « هل انت متزوج ؟ »

- « آلاف المرات . . إن ذاكرتي لم تعد تسعفني »

- « هل لديك أطفال ؟ »

- « لدي ولد في الخامسة من عمره »

- « سأحضر لك مزيداً من القهوة »

أحضرت له كوباً آخر من القهوة . قال وهو يرتشف « إنك امرأة
غريبة » .

- « لا . لست امرأة غريبة . إني بسيطة للغاية . . ليس هناك أي تعقيد
بالنسبة لي » .

حكى لي قصة عن شخص اسمه فرانسيسكو ، لم أفهم حقيقة من هو .
سألته « أي نوع من الأعمال تقوم به ؟ »

- « أنا لا أعمل . . لقد فصلت لأنني مدمن خمر ولأني حالة عقلية » .

- « أنك لست بحالة عقلية على الاطلاق . . فقط أنت تشرب أكثر من

اللازم » .

أخبرني أنه حارب في فيتنام . وأنه عمل بحاراً لمدة عامين . وإنه عشق
البحر . وامتألت عيناه بالدموع .

قلت « كن رجلاً وابك ، ابك كما تريد ، كن شجاعاً وابك . لا بد أن
لديك أسباباً عديدة للبكاء . .

- «ها أنا أشرب القهوة وأبكي

- « لا يهم ، ابكي واعتبر أنني لست موجودة .

بكى قليلاً . كان رجلاً جميلاً ، في حاجة لحلاقة ذقنه ، رجلاً مهزوماً .
لقد رأى أنه فشل . مثلنا جميعاً . سألتني أن كان يستطيع أن يقرأ لي قصيدة قلت
إني أحب أن أسمع منه . فتح حقيبة ، اخرج منها دفترًا سميكاً ، وضحك عالياً
دون أن يفتحه .

ثم قرأ القصيدة . كانت رائعة . لقد مزج بين الكلمات القبيحة وأعظم
المعاني رقة . أردت أن أصيح « آه يا كلوديو ، كلنا فاشلون ، كلنا سوف نموت
يوماً ما ! من ذلك الذي يستطيع أن يقول صادقاً انه حقق ذاته في هذه الحياة ؟
إن النجاح كذبة » .

- قلت « إنها جميلة هذه القصيدة . هل لديك قصائد أخرى ؟ »

- « لدي واحدة أخرى ، لكن لا بد أنني أضايقتك . أنا واثق أنك ترغيبين

أن أذهب إلى حال سبيلي » .

- « لا أريدك أن ترحل الآن . سأجعلك تعرف متى ينبغي أن ترحل .

سأوي لفراشي مبكراً » .

بحث عن القصيدة في دفتره ، لم يجدها . فترك دفتره . قال « اعرف

القليل عنك . حتى انني أعرف زوجك السابق » .

ظللت صامتة .

- « انك جميلة »

ظللت صامتة .

كنت حزينة للغاية . ولم أعرف ماذا أفعل لأساعده . إنه عجز فظيع ألا

تعرف كيف تساعد أحداً .

قال لي « سوف أنتحر يوماً ما . . . »

قاطعته « أبدأ لن تتحرر . إنه واجبنا أن نحيا . ويمكن أن نحيا حياة طيبة . صدقني » .

وكنت أنا التي ابكي بغزارة هذه المرة . لم يكن ثمة شيء استطيع عمله . سألته أين يعيش . قال ان لديه شقة صغيرة في بوتافوجو . قلت « اذهب لبيتك ونم » .

- « أولاً يجب أن أرى ابني ، إنه مريض بالحمى »

- « ما اسم ابنك ؟ »

قال لي اسمه .

أجبت « إن لدي ابناً بنفس الاسم »

« أعرف ذلك . »

- سأعطيك كتاب قصص للأطفال كتبته يوماً ما لأطفالي . اقرأها له

بصوت عال . »

أعطيته الكتاب وكتبت عليه اهداء . وضع الكتاب فيما يستعمله

كحقيبة . قلت له بأس « هل تريد كوكاكولا ؟ »

- « إن لديك هوساً لتقديم القهوة والكوكاكولا للناس »

- « هذا لأنه ليس لدي شيئاً آخر أقدمه » .

عند الباب قبل يدي . سرت معه حتى المصعد ، ضغطت على زر الطابق

الأرض ، وقلت له « في رعاية الله » .

هبط المصعد . عدت الى شقتي ، أطفأت الأنوار ، أخبرت صديقتي انه

ذهب لتوه ، غيرت ملابسني ، أخذت أقراصاً منومة - وجلست في الصالة أدخن

سيجارة . تذكرت أن كلوديو ، منذ دقائق ، قد طلب مني أن أعطيه السيجارة

التي كنت أدخنها . أعطيتها له . دخنها . قال أيضاً « يوماً ما سوف اقتل

أحداً » .

- « هذا ليس صحيحاً . أنا لا أصدقك » .

أخبرني أيضاً كيف أنه أطلق النار على كلب كان يتعذب . سألته إن كان
قد رأى فيلماً اسمه « إنهم يقتلون الخيول ، أليس كذلك ؟ » وسموه بالبرتغالية
« ليلة اليأس » . نعم . كان قد رآه .

ظلمت أدخن . نظر كلبني إليّ من خلال الظلام .

كان هذا بالأمس ، يوم السبت . اليوم الأحد ، الثاني عشر من مايو ،
عيد الأم . كيف يمكن أن أكون أمّاً لهذا الرجل ؟ سألت نفسي وما من جواب .
ما من جواب لأي شيء .
ذهبت لأستلقي . لقد متُّ .

* * *

قصة من جواتيمالا :

حكاية تاتيوانا

مقدمة عن الكاتب

ولد ميچويل انجيل استورياس عام ١٨٩٩ في جواتيمالا . نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٧ . ز عمل في السنوات الأخيرة سفيراً لبلاده في باريس حيث يعيش لكنه كان دائم الاتصال ببلده « لأني حين أبعد عنها أتوقف عن سماع صوتها . صوت الناس وصوت الأرض ومن ثم لا أستطيع أن أكتب « أستلهم في بعض أعماله الروائية الميراث الهندي في أمريكا اللاتينية . . بينما في روايات أخرى تناول قضايا سياسية من واقع بلاده مثل رواية .

التي كانت هجوماً مريراً على الدكتاتور استراداً جابريلاً . وثمة رواية هامة له جمعت بين الاتجاهين هي « رجال القمح » . تأثر في بداية حياته الأدبية بالسريالية لكنه سرعان ما قدم ثلاثيته « جمهورية الموز » وكان المجلد الأول منها هو « رياح عاصفة » وربما أمكن القول أن رواياته العشرة يميزها الاهتمام بقضايا الفقراء المنسحقين . كما يمكن القول أن نظرتة الشاملة للعالم قربية بعض الشيء من نظرة فرانز كافكا .

ميچويل انجيل استورياس

كان الأب شجر اللوز بلحيته الحمراء الوردية واحداً من الكهنة الذين يرتدون ملابس فاخرة غالية الثمن حتى أن الرجال البيض كانوا يلمسونها بأيديهم ليروا ما اذا كانت مصنوعة من الذهب . كان يعرف سر النباتات الطيبة ، ولغة الآلهة التي تتحدث بها من خلال زجاج شفاف . وكان يستطيع أن يقرأ أسرار النجوم في المساء .

ظهر ذات يوم في الغابة ، دون أن يزرعه أحد ، كأن الأرواح قد جاءت به . كان طويلاً حتى أنه يستطيع دفع السحب بيديه ، وكان يقيس السنين بالأقمار التي يراها ، وكان عجوزاً تماماً عندما جاء من « حديقة يتولان » .

عندما انتصف القمر في شهر « السمكة » وهو أحد الشهور العشرين في السنة ذات الأربعمئة يوم قسم الأب شجر اللوز روحه بين الطرق الأربعة هذه الطرق الأربعة تؤدي الى أجزاء السماء الأربعة : الربيع الأسود ، واسمه ليل الساحرة ، والربيع الأخضر واسمه عاصفة الربيع ، والربيع الأحمر واسمه النشوة الاستوائية ، والربيع الأبيض واسمه وعد الأرض الجديدة .

« أيها الطريق الصغير ! »

هكذا نادى الحمامة الطريق الأبيض ، لكن الطريق الأبيض لم ينصت . كانت الحمامة تريد من روح الأب شجر اللوز أن يشفيها من أحلامها أن الحمام والأطفال كلاهما يعاني من الأحلام .

« أيها الطريق ! أيها الطريق الصغير » هكذا نادى أحد القلوب الطريق الأحمر لكن الطريق الأحمر لم ينصت . كان القلب يريد أن يحول انتباه الطريق الأحمر حتى ينسى روح الأب شجر اللوز . أن القلوب ، مثل اللصوص ، لا يعيدون ما يتركه الآخرون لديهم .

« أيها الطريق ! أيها الطريق الصغير ! » .

نادت الكرمة الطريق الأخضر، لكن الطريق الأخضر لم ينصت لها .

كانت تريد من روح الأب ان تعيد اليها بعض الأوراق والظلال التي بددتها .

كم من الشهور القمرية ظلت الطرق تسافر ؟

أن أسرع الطرق الطريق الأسود ، الذي لم يتحدث اليه أحد طوال الرحلة ، دخل المدينة ، اخترق الساحة العامة وذهب الى حي التجار حيث أعطى روح الأب شجر اللوز الى تاجر المجوهرات التي لا تقدر بثمن في مقابل فترة راحة قصيرة . كانت هذه ساعة القطط البيضاء التي راحت تتجول في الشوارع بينما بدت السحب في السماء مثل قطع من الخيل .

عندما اكتشف الأب شجر اللوز ما فعله الطريق الأسود اتخذ مرة ثانية هيئة الانسان بعد أن صب هيئته كشجرة في جدول مائي صغير . فبدت على شكل زهرة اللوز تحت ضوء القمر . ثم ذهب الى المدينة .

وصل إلى الوادي بعد يوم سفر ، وصل في المساء عندما كانت القطعان تساق عائدة الى البيوت .

صعق الرعاة عندما رأوا هذا الرجل بعباءته الخضراء ولحيته الحمراء الوردية . . ظنوا أنه شبح وكانوا يجيبون على أسئلته بكلمات مقتضبة .

ذات مرة اتخذ طريقه الى الجزء الغربي من المدينة . كان الرجال والنساء يقفون حول النافورة العامة وكانت المياه تحدث صوتاً مثل صوت القبلات وهي تملأ جوارهم .

ولما ساروا وراء الظلال الى حي التجار وجد أن جزءاً من روحه ، الطريق الأسود - قد بيع . وكان تاجر الجواهر التي لا تقدر بثمن قد حفظه في صندوق كريستال ذي أقفال ذهبية . ذهب الى التاجر الذي كان يدخن في أحد الأركان ، وقدم له لآلئ قيمتها ألفان من الجنيهان مقابل أن يرد له قطعة روحه . ابتسم التاجر لدى سماعه العرض غير المعقول الذي قدمه الأب ، ألفا جنيهه ؟ لا ، إن جواهره لا تقدر بثمن .

وزاد الأب شجر اللوز من قيمة عرضه : سوف يعطيه زمرداً ، زمرداً كبيراً ، الواحدة في حجم حبة القمح ، سوف يعطيه خمسين فداناً منها ، بما يكفل لعمل بحيرة من الزمرد .

ابتسم التاجر مرة أخرى . بحيرة من الزمرد ؟ لا . . . إن جواهره لا تقدر بثمان .

سوف يعطيه تعاويذ وأحذية مصنوعة من عيون الغزال تجلب المطر ، وريشاً لتحويل مسار العواصف ، ومارجوانا ليخلط مع التبغ . رفض التاجر كل هذا .

سوف يعطيه مقداراً هائلاً من الأحجار الثمينة تكفي لبناء قصر خرافي في وسط بحيرة الزمرد .

لكن التاجر ما زال يرفض . إن جواهره لا تقدر بثمان - فلماذا يواصل الحديث عن ثمنها ؟ إلى جانب ذلك فقد قرر أن يقايض قطعة الروح هذه بأجمل جارية في سوق الرقيق .

كان من العيب أن يواصل الأب شجر اللوز تقديم العروض وأن يظهر مدى لهفته لاسترداد زوجه . لكن التاجر بلا قلب .

خيط من دخان التبغ فصل الواقع عن الحلم ، والقطط السود عن القطط البيض ، والتاجر عن زبونه الغريب . وفيما هو خارج نفذ شجر اللوز خفية على الباب ليخلص نفسه من تراب البيت الملعون .

بعد سنة ذات أربعمئة يوم ، كان التاجر عائداً عبر الجبال ومعه الجارية التي اشتراها بروح الأب شجر اللوز ، كان عائداً في موكب من ثلاثين خادماً على ظهور خيولهم .

كانت الجارية عارية وشعرها الأسود الطويل في ضفيرة واحدة مثل الحية ، يسقط بين نهديها ويمتد حتى ساقها . وكان التاجر يرتدي ملابس ذهبية وعلى

كتفيه غطاءً منسوجاً من شعر الماعز . وكان الخدم الثلاثون على ظهور الخيل يسرون خلفه كأشباح في حلم .

قال التاجر للجارية محاذياً جواده بجوادها « أنت لا تعرفين كيف ستكون حياتك في المدينة ! سيكون بيتك قصراً وكل خدمي سيكونون رهن اشارتك ، بما فيهم أنا إن أردت » .

كانت الشمس تضيء نصف وجهه . واصل حديثه لها : « هناك سيكون كل شيء لك ، هل تعلمين أني رفضت بحيرة من الزمرد لقاء قطعة الروح التي أخذتك في مقابلها ؟ سنظل طوال اليوم مستقلين في الأرجوحة الشبكية لانفعل شيئاً سوى الانصات لعجوز حكيمة تحكي لنا الحكايات . وهي تعرف مصري وقدري وتقول أنه في كف ماردي . وستخبرك أنت أيضاً بحظك إذا طلبت منها » .

استدارت لجارية لتلقي نظرة على الريف . كان اللون الأزرق الصامت يغطي المنطقة . وكانت الأشجار على جانبي الطريق تشكل مشهداً أقرب الى الوهم والخيال . . أشبه بالرسوم المطبوعة على وشاح السيدات . كانت السماء ساكنة ، وبدت الطيور وكأنها تطير وهي نائمة ، بلا أجنحة . ووسط ذلك الصمت الصخري بدا لهاث الخيول وهي تصعد التلال كأنه لهاث آدميين .

فجأة بدأت قطرات من المطر كبيرة الحجم ومنفصلة تسقط على الطريق ، أخذ رعاة الأغنام يصرخون وهم يجمعون شتات قطعانهم المذعورة . وراحت الخيول تركض لتجد لها مأوى بيد أنه لم يكن هناك وقت كاف . هبت الرياح ، فدفعت السحب أمامها دفعاً عنيفاً ، وراحت تشق الغابة بقوة حتى وصلت الى الوادي الذي اختفى عن الأنظار تحت غطاء هائل من الضباب في الوقت الذي كانت فيه الصواعق تضيء منطقة الريف مثل ومضات مصور مجنون .

وبينما كانت الخيول تدق الأرض بأرجلها ، وتفر هاربة من الخوف ، وقد تقطعت سيور الأجمة تعثر حصان التاجر وألقى بصاحبه تحت جذع شجرة

كانت في تلك اللحظة قد انشفت بفعل الصواعق ولفت جذورها حوله مثل يد تمسك بحجر وأطاحت به حيث سقط في الوادي المنحدر .

في نفس الوقت كان الأب شجر اللوز ، الذي بقي في المدينة ، يحب الشوارع مثل المجنون ، يهرب الأطفال ، يمر بين اكوام النفاية ، ويتحدث الى الحمير والثيران والكلاب الضالة وكلها مثل الانسان ذات عيون حزينة .

« كم من الشهور ظلت الطرق تسافر ؟ » هكذا كان يسأل منزلاً « وراء الآخر ، لكن الناس كانوا يصعقون خوفاً من ذلك الرجل في رداءه الأخضر ولحيته الحمراء الوردية ويغلقون الأبواب في وجهه دون إجابة وكأنهم رأوا شبحاً .

وأخيراً وقف الأب شجر اللوز عند باب تاجر الجواهر التي لا تقدر بثمن وتحدث الى الجارية التي نجت بمفردها من العاصفة « كم من الشهور ظلت الطرق تسافر ؟ »

جمدت الاجابة على شفيتها وصمت الأب شجر اللوز . كان القمر بديراً في شهر « السمكة » . وفي صمت راح كل منها يناجي الآخر كعاشقين تقابلا بعد فراق طويل .

قطع صمتهما صرخات عالية وتم القبض عليهما باسم الله وباسم الملك ، هو باعتباره ساحراً وهي باعتبارها شريكته . وتم نقلهما الى السجن وهما محاطان بحاملي السيوف والصلبان . . الاب شجر اللوز بحليته الحمراء الوردية وردائه الأخضر ، والجارية وقد جمد وجهها حتى بدا أنها مصنوعة من الذهب .

وبعد سبعة شهور حكم عليهما بالموت حرقاً في ساحة العمدة . وفي ليلة التنفيذ رسم الاب شجر اللوز بظفره وشما يمثل قارباً صغيراً على ذراع الجارية . وقال لها : « تايوتا » بهذا الوشم تستطيعين ان تهربي في أي وقت تحسین فيه بالخطر . أريد لك أن تكوني حرة كروحي . ارسمي هذا القارب الصغير على حائط أو على الأرض أو في الهواء . أينما تريدین . ثم أغمضي عينيك ،

وتسلقي الى الخارج واذهبي ..

« اذهبي ، إن روحي أقوى من الأوثان الحجرية »

« إن روحي أحلى من الشهد »

« ومثل روحي ، ستصبحين غير مرئية » .

وفي الحال ، فعلت تاتيونا ما قاله الأب شجر اللوز رسمت قارباً صغيراً ، أغمضت عينيها ، وما ركبت القارب تحرك بها . . . وهكذا هربت من السجن والموت .

وفي الصباح التالي ، يوم التنفيذ ، لم يجد الحراس في الزنزانة سوى شجرة ذابلة لا تزال زهرات اللوز فيها تحتفظ بلونها الأحمر الوردي .

* * *

قصة من المكسيك :

مَكَارِيُو

تأليف: خوان رولفو

مقدمة عن الكاتب

عرف الكاتب المكسيكي خوان رولفو كروائي وكاتب قصة قصيرة . ولد عام ١٩١٨ ، ودرس في جامعتي « مكسيكوستي » و« جورا لاجارا » . في روايته الأولى « بدرو بدرامو » ومجموعة القصص القصيرة التي صدرت له عام ١٩٧٦ بعنوان « السهل المحترق » يقدم خوان رولفو رؤية لحياة الفلاحين في المكسيك . يقول عنه الناقدان السيدة دومان والسيد هارس « إنه روائي لا يندد بالخيانة والظلم لكنه يعانيتها في صمت كجزء من وباء الحياة » .

المترجم

أنا جالس الآن بجانب المجاري منتظراً الضفادع أن تخرج . بينما كنا نتناول العشاء الليلة الماضية بدأت في التقافز ولم تكفّ عن الغناء حتى الفجر . كما أن أمي في العماد عرابتي) * تقول إن صيحات الضفادع حرمتها من النوم . وإنما الآن ترغب حقيقة في النوم . ولهذا امرتني أن أجلس هنا ، بجانب المجاري ، وفي يدي قطعة من الخشب لضرب كل ضفدعة تقفز الى الخارج . الضفادع خضراء من كل جانب ما عدا من الجوف . ضفادع الطين سوداء . عيون خالتي سوداء أيضاً . الضفادع تأكل كثيراً . ضفادع الطين لا تفعل ذلك . الناس يأكلون ضفادع الطين . الناس لا يفعلون ذلك . ولكن أفعله ، وطعمها مثل طعم الضفادع العادية . فيليبيا هي التي تقول أن أكل ضفادع الطين شيء سيء فيليبيا لها عيون خضراء مثل عيون القطعة . إنها تطعمني في المطبخ وقتما اذهب لأكل . هن لا تريدني أن أؤذي الضفادع . ولكن خالتي هي التي تأمرني أن أفعل الأشياء - أنا أحب فيليبيا أكثر من خالتي . ولكن خالتي هي التي تُخرج النقود من جيبتها وبهذا تستطيع فيليبيا أن تشتري كل الطعام . فيليبيا تجلس وحيدة في المطبخ تطبخ طعاماً لثلاثتنا . منذ أن عرفتها ، فهذا كل ما تفعله . غسل الأطباق من اختصاصي . حمل الأخشاب الى الفرن هو عملي أيضاً ، ثم أن خالتي هي التي تغرف لنا الطعام . وبعد أن نأكل تعمل سندوتشين بيديها ، واحد لفيليبيا ، والآخر لي ، لكن فيليبيا أحياناً لا تشعر برغبة في الأكل وحينئذ يكون السندوتشان من نصيبي ، لهذا أحب فيليبيا ، لأنني دائماً جوعان ولم امتلأ أبداً ، ولا حتى بعد ان التهم طعامها . يقولون أن الشخص يشبع ويمتلأ من الأكل ، اعلم تماماً أن هذا لا يحدث لي حتى لو أكلت كل ما يقدمونه لي . وفيليبيا تعرف ذلك أيضاً . يقولون في الشارع أي مجنون لأنني لا أشبع أبداً . وقد سمعتهم خالتي يقولون ذلك . أنا لم أسمعهم . خالتي لن تسمح لي بأن

(* يمكن استخدام لفظ « خالتي » كمقابل لكلمة « عرابتي » أو « أمي الروحية » .

أخرج وحدي الى الشارع . عندما تأخذني خارج المنزل فهذا يكون للذهاب الى الكنيسة . وهناك تجلسني بجانبها وتربط يدي بأطراف شالها . لا أعرف لماذا تربط يدي ، لكنها تقول لأنهم يقولون أني أفعل أشياء مجنونة . ذات يوم وجدوني اخنق شخصاً ما . كنت أخنق سيدة دون سبب على الاطلاق . لكن خالتي هي الشخص الذي يقول ماذا أفعل وهي لا تكذب أبداً . حين تدعوني للأكل ، فهي تعطيني نصيبي من الطعام . إنها ليست مثل باقي الناس الذين يدعوني لآكل معهم ثم حين أقرب منهم يرموني بالأحجار حتى أجري هارباً دون أن أكل أي شيء . لا ، خالتي طيبة معي . ولهذا فأنا مبسوط في منزلها .

إلى جانب ذلك فان فيليبا تعيش هنا . فيليبا طيبة جداً معي . ولهذا فأنا أحبها . إن لبن فيليبا حلومثل زهور الخبيزة . لقد شريت لبن الماعز وكذلك لبن الخنزيرة التي ولدت مؤخرأً خنازير صغار . لكن لا ، ليس في حلاوة لبن فيليبا . الآن لقد مر وقت طويل منذ جعلتني أرضع ثدييها ، وهما في نفس المكان أن حيث يوجد لنا نحن مجرد حبتين داكنتين ، وحيث يخرج معها ، إذا عرفت كيف تحصل عليه ، لبن أحلى من ذلك الذي تعطيه لنا خالتي في العشاء أيام الآحاد - اعتادت فيليبا أن تأتي كل ليلة الى الحجرة التي أنام فيها وتضميني اليها وتدفتني وهي فوقى أو جانبي . ثم تثبت ثدييها حتى أتمكن من مص اللبن الحلو الساخن الذي يجري على لساني - مرات كثيرة كنت أكل زهور الخبيزة لكي أحاول أن أنسى جوعي . ولبن فيليبا له نفس النكهة ، فيما عدا أني أحبه أكثر لأنه في نفس الوقت الذي تجعلني أرضع فيه ، فان فيليبا تداعب كل جسمي وتدغدغه . ثم انها في معظم الأحيان تبقى نائمة بجوارى حتى الفجر . وهذا شيء جميل بالنسبة لي لأنى لا أشعر بالبرد ولا أخاف أن يلقى بي الى الجحيم اذا مت وأنا وحدي ذات ليلة - أحياناً لا أخاف من الجحيم بهذا الشكل . ولكن أحياناً أخاف . وحينئذ أحب أن أخوف نفس من الذهاب الى جهنم في أي يوم ، لأن رأسي صلبة جداً وأنا أحب أن أخطبها في أول شيء اقبله . لكن فيليبا تأتي وتطرد مخاوفي وهي تغطيني بجسدها وتمر بيديها على كل جسدي

وتربت علي وتضميني وهي تعرف كيف تفعل ذلك وتوقف خوفاً من الموت .
وأحياناً تقول لي فيليبيا - حين تكون سعيدة وهي معي - أنها سوف تقول للرب
عن كل خطاياي . سوف تذهب الى السماء حالاً وتحدث معه ، وتسأله أن
يعفو عن كل شروري التي تملأ جسدي من رأسي إلى اصبع قدمي . سوف
تقول له أن يعفو عني وبذلك لن تزعجني هذه الشرور مرة أخرى . وهي لهذا
السبب تذهب الى الاعتراف كل يوم . ليس لأنها سيئة ، ولكن لأنني أنا ملئ
بالشياطين من الداخل ، وأن عليها أن تطردهم من جسدي بالاعتراف نيابة
عني . كل يوم . بعد الظهر كل يوم . وهي ستفعل هذا المعروف من أجل طيلة
حياتها . هذا ما تقوله فيليبيا . ولهذا فأنا أحبها جداً - لكن ما زالت رأس الصلبة
هي المشكلة الكبيرة . إني أخطبها في أعمدة الممر لساعات ولا شيء يحدث لها .
أظل أخطبها ولا تتشرخ . أخطبها في الأرض - ببطء في البداية ، ثم بشدة -
فتحدث صوتاً مثل الطبلية . تماماً مثل الطبلية التي اسمعها مع المزمار الخشبي من
خلال نوافذ الكنيسة ، وأنا مقيد في دثار خالتي ، أسمع خارجاً بوم . . بوم -
وتقول خالتي انه إذا كان هناك بق وصراصير وعقارب في حجرتي فهذا لأنني
سوف أحرق في جهنم اذا ما ظللت أخطب رأسي في للأرض لكن ، أحبه هو أن
أسمع صوت الطبلية . وعليها أن تعرف ذلك . حتى وأنا في الكنيسة ، منتظراً
أن أخرج بسرعة الى الشارع لأرى لماذا يسمع صوت الطبلية من هذه المسافة
البعيدة ، عميقاً داخل الكنيسة ويعلو فوق لعنات القسيس - « إن طريق الأعمال
الطيبة ملئ بالنور . وطريق الشر مظلم » هذا ما يقوله القسيس - إني أنهض
واخرج من حجرتي بينما الدنيا ما تزال ظلاماً . اكسس الشارع وأعود الى حجرتي
قبل أن يمسك بي ضوء النهار . في الشارع تحدث أشياء هناك ناس كثيرون سوف
يضربونني على رأسي بالأحجار حالما يرونني . أحجار كبيرة حادة تنهمر علي من
كل جانب . عندئذ يتمزق قميصي ، وعلي أن انتظر أياماً كثيرة حتى تسدمل
جروح وجهي أو ركبتي . ثم تربط يدي مرة أخرى لأنها لو تركتا مفكوكتين
فسوف تسرعان بهرش هذه الجروح حتى تنساب منها الدماء مرة أخرى . الدماء

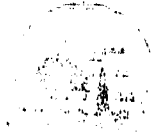
لها طعم لذيذ أيضاً ، رغم أنها حقيقة ، ليست في طعم لبن فيليبيا ولهذا فأنا أعيش دائماً محبوساً في البيت - فهذا لن يلقوا أحجاراً علي . وحالما يطعمونني أقفل باب حجرتي على نفس وأوصد الباب وبذلك لن تستطيع خطاياي أن تجرني لأن الدنيا ظلام . وأنا لا أضىء حتى البطارية لأرى على أي موضع من جسدي تتسلق الصراصير . فأظل ساكناً . إنني أنام على أجولة (زكائب) وحالما أشعر بالصراصير تمشي على رقبتي فاني أعطيها خبطة ثم أطوح بها بعيداً . لكني لا أضىء المصباح حتى لا أسمح لخطاياي أن تراني وتمسك بي وأنا أضىء المصباح بحثاً عن الصراصير تحت دثاري . الصراصير حين تهرسها ، تحدث فرقة مثل فرقة الخشب في النار ، لا أدري ما اذا كانت الصراصير الأخرى التي تحدث صوتاً في الليل هي أيضاً كذلك . فأنا لا أقتل هذا النوع من الصراصير . فيليبيا تقول أن هذه الصراصير دائماً تعمل ضجة وبهذا فأنت لا تستطيع أن تسمع صرخات الأرواح التي تعاني في المطهر . وحين تختفي صراصير الليل هذه فان صرخات الأرواح المقدسة سوف تملأ العالم وسوف تجري هرباً من خطايانا . الى جانب ذلك ، فأنا أحب جداً أن أرهف السمع وأنصت الى أصوات صراصير الليل . يوجد أعداد كبيرة منها في حجرتي . وبما يوجد صراصير ليل بين طيات الأجولة حيث أنام أكثر مما يوجد في الصراصير العادية . توجد أيضاً عقارب . وهي تسقط من السقف بين حين وآخر وعلي أن أمسك أنفاس حتى تشق طريقها عبري لتصل الى أرض الحجر . لأنه اذا تحرك ذراعي أو ارتعشت احدى عظامي ، فاني أشعر بنار اللدغة في الحال . وهذا مؤلم . ذات مرة واحدة من تلك العقارب قرصت فيليبيا في مؤخرتها . وبدأت فيليبيا تتأوه وتصدر صيحات رقيقة للقديسة العذراء ألا تفقد عفاف مؤخرتها . بصقت أنا على مؤخرتها ثم رحت أدعكها بشدة . وظللت طوال الليل وأنا أبصق وأدعك مؤخرتها وأصلي معها ، وبعد مدة ، حين رأيت أن بصقي لم تجعل حالتها أحسن ، ساعدتها أنا أيضاً بمشاركتها في البكاء بصوت عال قدر ما استطعت - وعلى أي حال ، فأنا أحب أن أشد انتباه أولئك الذين يعشقون رمي

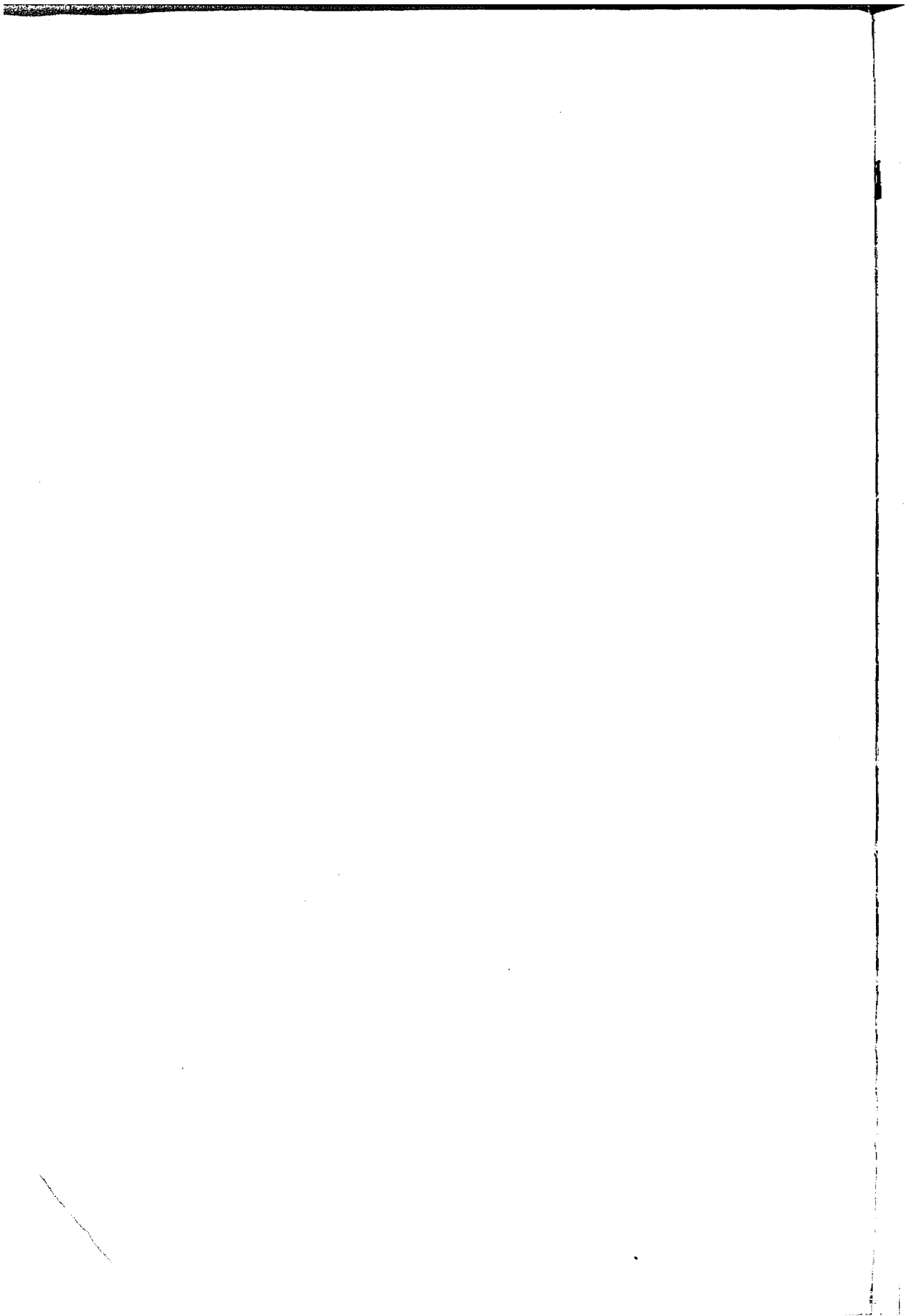
الناس بالحجارة ولكن أفضل أن أشد انتباههم في حجرتي أكثر من الشارع- هنا
- في الحجرة - لا أحد يفعل شيئاً لي - حتى خالتي لا توبخني حين ألتهم نصيباً
من زهور الرجلة ، أو نبات الأس ، أو الرمان . فهي تعلم كم أنا جائع طول
الوقت . تعرف أنني دائماً جائع . تعرف أنه لا توجد وجبة كافية لأن تملأ
جوفي ، رغم أني اذهب لأخطف بعض الأشياء لأكلها من هنا وهناك طول
الوقت . تعرف إنني ألتهم فضلات الطعام التي أقدمها الى الخنازير السمينة ،
وعجينة القمح التي أقدمها الى الخنازير الصغيرة . لذا فهي تعرف كم أنا جوعان
باستمرار من لحظة قيامي من النوم حتى ذهابي للفراش لأنام . وطالما أجد شيئاً
أكله هنا في هذا البيت فسوف أظل فيه - لأنني أظن أنه يوم أن أقلل من الأكل
سوف أذهب مباشرة الى جهنم . ولن يخلصني أحد من هناك ، ولا حتى فيليبا ،
التي هي طيبة جداً معي ، أو حتى الوشاح الذي أعطته لي خالتي والذي أضعه
حول عنقي - أنا الآن جالس على المجاري انتظر الضفادع أن تخرج . لم تخرج
واحدة طوال هذا لوقت الذي أجلس فيه . إذا كانت هذه الضفادع ستأخر في
المجيء فسوف اذهب ومن ثم لن تكون هناك وسيلة لقتلها ولن تستطيع خالتي
أن تنام بالمرّة اذا استمعت اليها تغني وسوف يركبها غضب عظيم . ثم أنها
سوف تطلب من واحد من صف القديسين المعلقين على حائط حجرتها أن يرسل
الشياطين في اعقابي ، ليأخذوني الى اللعنة الأبدية ، الآن فوراً ، دون حتى أن
أمر على المطهر ، ومن ثم فلن أستطيع رؤية بابا أو ماما لأنهما في المطهر - لذلك
فمن الأحسن ان أكف عن الكلام - إن ما أود حقيقة أن أفعله هو أن آخذ بضع
جرعات من لبن فيليبا ، ذلك اللبن الحلو الذي يضاهي في حلاوته الشهد الذي
يخرج من تحت أزهار نبات الرجلة .

* * *

الفهرس

٦	لا يوجد لصوص في هذه المدينة
٣٨	ورود صناعية
٤٥	عينا كلب أزرق
٥٢	الرجل الذي ظهر
٥٩	حكاية تاتيوانا
٦٦	مكاريو





63.6

مار

ل